

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>



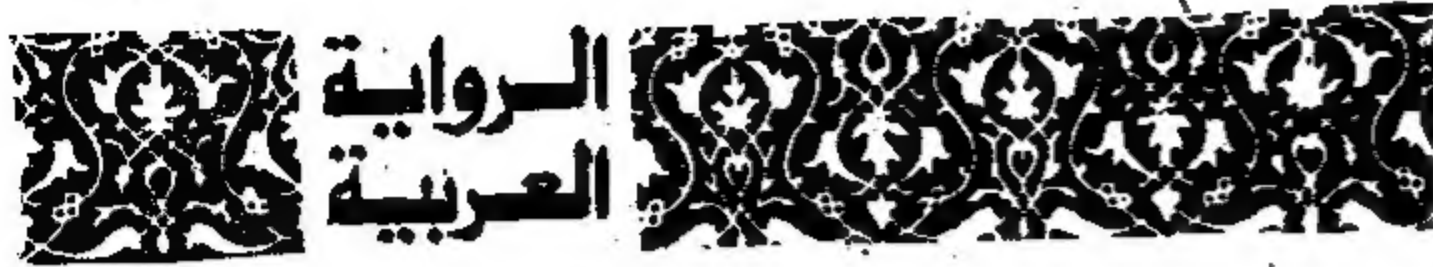
مكتبة العبد



قصة

# في الصيف السابع والستين

إبراهيم عبد المجيد



منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

---

في الصّيف السّابع والسّبعين

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

# في الصِّيفِ السَّابِعِ وَالسِّدِّ

تأليف  
إبراهيم عبد المجيد

● الطبعة الثانية



الاخراج الفني : ماجده البنا

Handwritten Arabic text, likely a library inventory or list of books, including titles and numbers.

● الإهداء

الى الذين عاشوا ذلك الصيف

اللى لم ينته !!

ابراهيم عبد المجيد

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

Handwritten Arabic text at the bottom right, possibly a signature or additional note.

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

اليوم السادس

من الشهر السادس

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

- ١ -

« هذه الوجوه الشاحبة ، المنقبضة ، التي انقلبت عيونها الى الداخل ، تزيدني اسى . ان وجهي لاشك مثلها ، ولا ريب انهم يقولون عنه ما اقله عن وجوههم . لكن هل تعرف بعض هذه الوجوه انى اشك فى ملكية اصحابها لها ؟ ربما .. حينئذ تصبح لعبة كبيرة نشترك فيها جميعا .. مهزلة تسربت فى مناساة ! » .

الراديو موسيقى عسكرية .. مارشات متوالية .. نكست الرؤوس .. حاصرت العيون الراديو من جميع الجهات .. تود لو اخترقته .. لو استولت على ما سيقول قبل ان يلفظه ! ..

لماذا يريد ان يبكى منذ مساء أمس ؟

لماذا لم يعد يرى ما حوله جيدا ويحس به ؟

لا يدرك انه جالس فى الفناء ، انه جالس وكفى !

لا يعنى ان خلفه مبنى المركز . ان داخل المبنى حجرات . ان هذه الحجرات تكون فى الصباح فصولا دراسية للطلبة . ان السور المحيط يفصل المركز عن الشارع والمنازل فى الخارج .. ان على يساره ورش المركز .. ثم ما هو المركز نفسه ؟ واين ؟

يتحرك ، يتكلم ، ولا شيء مما حوله يشغله .. يشغله فقط انه يريد ان يبكي منذ مساء أمس ! منذ ان صرخ انور .

« اين الطيران ؟ » ..

كان السؤال حدث من الماضي نسوه .. تراث تركه الأجداد وغفلوا عنه .. ولما ظهر بهم انهاروا بين ان يستوعبوه او ينكرونه .. داخلهم احساس قوى ان يصدقوا الدهشة في السؤال . ان يلغوا التساؤل ويصدقوا الدهشة والاستنكار والفجعة .. تعلقوا به ، بمراث السنين الطويلة من الرغبة في ان يفعلوا شيئا . بخوف ضارب في وجدانات مسجوقة ، يتحول فجأة الى اذرع لهفة تطاول الجبال . بأمل ساذج لقلوب صغيرة .. لكن احدا لم يرد !

تحركت الأحداق .. التهمت كل الاتجاهات .. حنقا ظفرت القلوب وأسفا بعضها .. لكل احدا لم يرد !

« اين الطيران ؟ .. اين الطيران ؟؟ »

تلوت الصرخة سكيما حظرونية الحركة في احشاء مرهقة .. لماذا لا يرد احد ؟ .... هل هو ذكى الى هذا الحد ؟ هكذا دأبه .. الصبر اسطورة قديمة يسحقها بحذاء موضوعيته ! . الشك ! الشك . يريد ان يرى كل شيء دفعة واحدة .. والا لما كان يعنى التطرف والعنف في معسكرات الشباب ..

« - واقول لكم ثورتكم هذه نصف . بل ربع .. الشوارع لابد تعرف الدماء .. حتى ويدي .. التطبيق الاشتراكي يسير منتزها .. عجيبه هذه الاشتراكية ، مسخا صرتم والفقر قائم .. لن تثمر الخطة .. ثورة بيضاء .... لهم وعليهم .. »

« - انت يا صديقي تنبأه فقط بكتيبك الحمراء .. »

سيرك جوار الخبراء السوفييت .. سيرتك معروفة . انحرافاتك لها دخان . لماذا لا تعبر عن رأيك داخل الخيمة ! ؟ »

« - المخابرات في كل مكان . قد يكون الوجه نفسه منهم » .

نشوة النصر ما تزال تستطيع ان تتخيل على سحناتهم رغم هذا الترقب القلق .. امتلات ارواحهم الى غايتها بان النصر سهل ميسور .. الأمر لا يعدو نزهة .. لكن سكين السؤال الملعونة جهنمية الاثارة .. عيونهم تزداد انساها .. دهشة .. غفلة .. ! تفصح بالأداة على غباء او حسن نية ، او متسائلة يمضها التوجس .

لكن حقا . اين الطيران ؟

كيف غلب السؤال عنهم ؟

توقفت المارشات .. اناخ السكون على الكون .. جثمت الرهبة ..

« ايها المواطنون . جاءنا من القيادة العامة للقوات المسلحة البيان التالي .. ارتفعت العيون تهتف ببعضها .. بيان رقم ( ٣ ) رفت اهداب واغمضت أمين صادر في الساعة السادسة من مساء الثلاثاء السادس من يونيو عام ١٩٦٧ انكفات رؤوس فوق الصدور والتوت أعناق نابت بحملها ان التدخل الجوى الواسع المدى من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لصالح العدو الاسرائيلي قد أحدث تطورات هامة في خط سير المعركة وتقاتل قواتنا الآن في معارك ضارية على الأرض المصرية وعيون تغمض واخرى ترتفع الى السماء تبحث او تستقطر العذاب ويشع الأسف والفضب والخللان وتحرك بعض الأقدام عن الأرض قليلا

الكل في الكون لا يرى



الهجوم على قواتنا في الكونتيليا فحطمت قواتنا مدرعاته وأسلحته  
وأجبرته على الانسحاب ..

وتحده صقر ببراءة الأطفال

وماذا في الأمر . انها بيانات مشرفة حتى الآن . ؟

ولكن انور وجد وسيلة في ان يثقب عيونهم بعلامة التعجب ،  
دون حاجة لأوراقه فاحتد ..

- البيان الأول يقول ان اسرائيل بدأت عدوانها في الساعة  
التاسعة من الصباح بغارات جوية على القاهرة وجميع أنحاء  
الجمهورية . ويقول أيضا ان طائراتنا تصدت لها ومعها أسلحتنا  
المضادة للطائرات .. ومنذ الصباح لم نسمع عن هجوم للطائرات  
المصرية على القوات الاسرائيلية اذن أين الطيران ؟ . أين الطيران ؟ .

من نبرة التساؤل سمع محسن ترجيعة بالسؤال المعهود  
« أين الله » ؟ .

لكن خادعا كان هده وهو يتكلم .. أحس هو نفسه ،  
محسن نفسه ، بذلك وهو يقول بخدعة الهدوء :

- حقا .. أين الطيران ؟ لكن لعل في الأمر تخطيطا ما ..  
نحن مازلنا في بداية المعركة وللأسف نحن لا نملك الا أن نقول  
ذلك . اما الآن فعلينا أن نستعد للتوزيع على مواقع الدفاع  
المدني .

وسيقول ذلك الآن . لكنهم لا يستطيعون التحرك من حول  
الراديو .. حقيقة أو زيفا ، المهم انهم لا يستطيعون .

اطفأه صقر بعنف .. أشعله صايغ بهدوء !

اطفأه محسن بهدوء .. أشعله علام بعنف !

وتشابك اصابع الأكف وتتكور بعض الأيدي وتعض النواجذ  
على بعض الشفاة وتقف في بسالة رائعة أمام هجمات يشنها العدو  
على مواقع العريش أبو عجيلة والقسيمة ويضع العدو الآن في  
المعركة قوة جوية ضخمة أين الطيران سؤال يحط فوق الجميع  
وتزداد الحركة توترا وبرغم ما منى به من خسائر فادحة في  
الطائرات والديابات فان الذين يقفون وراءه يواصلون امداده  
بما يعوض خسائره .

« صقر » طرفة غضب على سطح المدياع وبصقة غل في  
الهواء ..

وجوم على وجه صايغ ..

محسن عيناه لهتا في البحث فاصطدما بوجه علام ..

علام طويلا وجهه يمتد الى الامام . شماعة له عينان  
وسخرية ، ابتسامته التي تحاول الإنشاق . عينا محسن صدمة  
كهربائية لعيني الشماته .. الجو حول ابتسامة السخرية مكهرب  
مشحون بالتوتر ، لكن الرغبة قوية تساعد الابتسامة ان تتخيل  
ولو قليلا . ينهار فاصل الليل والنهار .. يختلط الزمن  
ويتضائل .. يصير صغيرا للغاية . ويوم الأمس كيوم اليوم ..  
الضيق نفس الضيق وانور ما يزال صامتا . بالأمس قال والضيق  
يفجره ..

- هذا هو البيان الأخير حتى الآن .. الساعة الآن الخامسة  
والربع .. تم ضرب العدو الذي يهاجم قواتنا في أبو عجيلة ! .

كان يود لو كان كلامه مكتوبا لتظهر علامة التعجب . وقال  
بسلام :

- وقبله في البيان رقم ( ١٢ ) جاء أن العدو قام بمحاولة



اطفأه خليل بفضب .. أشعله أنور ببرود !

- هل تتحول المعركة ضدنا ؟

تساءل صقر وفي عينيه رهبة طفل وجد نفسه فجأة في مكان متسع خال .

- إذا كان هذا التدخل صحيحا فهي للأسف تتحول ضدنا ان لم يتحرك العرب ويتدخل السوفييت ..

قال محسن ذلك بجياد او محاولة . لكن وفا انهزم وهو يتساءل ..

- واين الأمم المتحدة ؟

اتسعت ابتسامة علام وقال :

- عيبك انك تتناول الأمور بجذ وحسن نية ..

وكان خليل قد وقف امامهم محملا بالانكسار .. تطلعوا نحوه كأنما يتعلقون به او يشدونه . اهتزت اقدامه .. شذبت عيناه . رفع راسه .. قفز العرق فوق وجهه الذي يتقلص في ألم .. هتف أنور ساخرا :

- هل ستخطب ؟

ضحك علام وجلجلت ضحكته . وكان بصر خليل يدور في الفضاء .. اختفى سور الفضاء من حول المركز .. أمحت الورش والفصول الدراسية .. لم تعد المنازل العالية خارج السور قائمة .. ولا أسلاك الكهرباء المرتفعة .. السماء صفحة زرقاء رائعة .. الفضاء خلاء أبيض رائق .. ولأن الساعة كانت تدور في الساعة فقد شعر كما لو أن أشعة الشمس التي بدأت تورس الأفق خلفه قد امتدت بحيث شملت الأفق الشرقي امامه تطرد

الليل . جهة واحدة صار الغروب والشرق .. لحظة واحدة موعدهما .. العالم كله هو هذه الجهة .. الزمان كله هو هذه اللحظة . ما أبهى العالم وما أعمق الزمن . ها هو يقف على باب الولوج الى قلب الكون . وفي الكون لحظة تتسع فيها الروح له . وها هي هذه اللحظة الطلية . فالله يتمدد في الكون الآن .. وهو هو .. هو هما .. هما هو .. هو واحد لا ثلاثة . ويتمتم خليل في ألم ..

- الله قريب يا أخوان .

- اطلع له .. !

يهتف أنور و خليل لا يسمعه .. يقهقه علام و خليل لا يسمعه .. لم يعد له رفاق حوله .. لا حاجة له بهم الآن .. كلماته هذه آخر عهده بهم . رفع يديه الى اذنيه .. ابادى تمتد اليه مشعة من قلب الفضاء السرمدي . الله أكبر .. ركع فسجد .. الله أكبر .. يدعو بصوت مسموع مكتو .. بالم عيون تنظر اليه .. بحسرة .. بسخرية .. وفي الوقت الذي قام فيه صقر ووقفا ليصليا جواره ظل هو ذاهلا عنهما .. ظل أنور وعلام يضحكان .. ضحكة علام أعلى .. ومحسن طاش منه صوابه . يتأمل المشهد ويسأل نفسه عن المسرح والحياة والمأساة والمهزلة والحدود ... !

القيادة المصرية ، وغدا سنستمع عن تقدم الجيش المصرى بإارده  
الطيران كاسحا الاسرائيليين .

وكأنما عبارته فتيل نارى كاد الجميع على اثره يشنجرون  
لولا أن سقط فوقهم قرف مفاجيء من أشياء مبهمه فانصرفوا الى  
مواقعهم .

ودخل الدسوقى الى الحجرة ، وكان قد غادرها منذ قليل ،  
وفى يديه براد شاي وثلاث اكواب وعلبة سجائر .. عندما رآه  
راضى انطلق ضاحكا ومندهشا .

- من أين لك هذا ! ؟

تنبه محسن فحاول أن يبدو يقظا . هتف الدسوقى  
معاتبا .

- رئيس وحدة الدفاع المدنى ونائم .. انت انتهيت ..  
شاي حتى تستيقظ ..

- من أين ؟

هكذا قال محسن بفتور :

- من البوفيه طبعاً .

- بوفيه ! ؟

هكذا انزعج محسن .

- تحايلت على القفل حتى فتحتة ، أخذت ما أريد ورتبت  
كل شيء فى مكانه .

لم يستطع محسن أن يمنع ابتسامة اعجاب وحب فى الوقت

- ٢ -

الليل يدور فى المنتصف ، والزمن العاكس يزحف الى اليوم  
الثالث فى الحرب فيصل بالأرواح الى الأجفان ، والهدوء واد  
للقبور . لم يكن بحجرة الدفاع المدنى الرئيسية بمركز التدريب  
غير محسن وراضى والدسوقى ويحى .

كان بقية الزملاء قد تفرقوا الى مواقعهم فى المنطقة الواقعة  
ما بين الإدارة العامة والمركز . منطقة طويلة يقع فى منتصفها جراج  
واسع يشكل الموقع الثانى بعد المركز وقبل الإدارة بالنسبة  
لهذه الفصيلة من فصائل الدفاع المدنى بالشركة . جعل راضى  
يدير مؤشر الراديو الى الاذاعات الأجنبية . ومحسن يحملق فى  
سقف الغرفة مرة ويسبل عينيه مرات والنوم الاحمق يهزم قوته  
التي كادت تتسرب منه . لقد كاد النقاش يتطور الى شجار قبل  
التوزيع على المناطق مباشرة لولا أن حسمه راضى وقال :

- نحن لا نفهم فى الحرب ، لن نستطيع اصلاح شيء قد  
فسد الآن . هذا اذا كان هناك شيء فسد فعلاً ..

ولكن يحى الصامت دائماً حلق وقال :

( - والله اننى اعتقد ان كل هذه خطط للتمويه تقوم بها

الذى كان راضى مسترسلا في الضحك ويحيى صامتا كتابوت .  
واستمر الدسوقي .

— لو كنت اشتراكيا كما تدعى لأيدت هذا العمل !

تمايل راضى وهو يضحك بالمقعد حتى لامس الحائط ..  
لم يتحرك يحيى أو يبدى انفعالا ما . وضع رأسه بين كفيه  
وأسند مرفقيه الى المكتب وجعد . وقال محسن وهو يدمع  
عينيه براحتيه ..

أؤيدك في سرقة الشاي ، ليس لأنى اشتراكى ولكن لأنى  
أكاد أنام ..

وهتف الدسوقي متخابثا .

— اذن لا تؤيدنى في سرقة السجائر .. ؟

رد محسن على الفور ..

— عندما نقول الشاي نعنى السجائر ككل المصريين .. !

وضحك الثلاثة . وكانت لحظات سلخت نفسها من هم  
ما يحدث وما يسمعون . وجعل راضى يفرغ الشاي في الأكواب  
بطريقة جعلت له صوتا مثيرا يداعب الحلق . وتمادى في  
طريقته حتى انه كان يرفع البرادجيد لمسافة تكاد تصل الى متر  
فوق الكوب . وود لو يسكب الشاي فوق رأس يحيى على  
يأنى بشيء ..

أشعلت السجائر وسمعت أصوات رشقات الشاي دافئة  
حسون .. كاد دخان السجائر يملأ الحجرة التى بلا نوافذ ،  
واستطاعت سداجة الدسوقي وطيبته ان تنشران في الجو ستائر  
مرح .. كان محسن كلما تطلع الى جسده الضخم القصير ،

ووجهه الأسمر وصلعته الزيتية التى يحاول فاشلا ان يخفيها  
بقليل الشعر المتبقى ، وكلما تذكر الأزمات والمآزق التى يقع  
فيها الدسوقي دون أن يعرف موضوعها ولا أسبابها ويظل مبتسما ،  
يبتسم . آلاف مثل الدسوقي طيبون . يعيشون حسنى النية  
بكل شيء حولهم .. يؤمنون في أعماقهم أن كل شيء زائل ويكتفون  
بالحزن المكتوم ولا يحزنون . هكذا كان يرى الدسوقي . وأدار  
راضى المؤشر الى القاهرة لسمع أنباء الواحدة والنصف . بان  
الجهد على وجه محسن وفشلت محاولة الجد في طرده . يريد  
أن ينتبه لسمع البيانين الأخيرين جيدا .. كان الدسوقي مهتما  
للغاية أن يعرف أنباء سوريا والأردن . وسوريا على وجه  
التخصيص . وقام يحيى ليأخذ حصته في النوم مبكرا في البدروم .  
الدسوقي يعتقد أن سوريا والأردن أكبر مؤثر على إسرائيل « فهى  
بلاد تضرب في العمق يا صاحبي » . ان هذا يعرفه الجميع ،  
لكن الذى لا يعرفه أحد غيره فهو أن الجندي السوري أفضل  
جندي عربى !

« بيان رقم ( ٤ ) صادر من القيادة العامة للقوات المسلحة  
المصرية في الساعة السابعة والثلاث مساء يوم السادس من  
يونيو .. دخل الدعم الجوى العسكرى الأمريكى والبريطانى للعدو  
الإسرائيلى مرحلة جديدة بعد ظهر أمس . فقد قامت طائرات  
من طراز كانبرا البريطانية وعليها علامات الرسمية بالاشتراك في  
عمليات الضرب الجوى فوق مواقعنا في سيناء وذلك يكشف  
بطريقة لم تعد تقبل الجدل تدخل القوى الاستعمارية السافرة  
في صراع المصير الذى يدور الآن على الأرض العربية » نسى  
الدسوقي أنه هتف مرة سابقة فهتف محنقا من جديد !

— وأين الروس ؟

لكن محسن أشار ان يسكت ..

« بيان رقم ( ٥ ) صادر في الساعة ٧:٣٥ مساء .. ثبت لدى السلطات العسكرية المختصة ان هناك اثنتين وثلاثين طائرة أمريكية قامت اليوم من قاعدة هوبس بليبيا قاصدة اسرائيل » .  
وطرق الدسوقي بعنف فوق المكتب ففزعته الأكواب الفارغة .

— لم يبق غير السنوسي !

اخفقت نواجز محسن ان تدفع دموعه ! . سقطت دموعه وصارت النواجز تطحن بعضها . يداه تتكوران في عصبية ظاهرة .. صوت المذيع الحزين يتلوى في قلبه يدميه .. لقد سمع البيانين من قبل .. انه الآن ، الآن فقط ، يتأكد من معناهما الكبير .. ويتأكد انه لم يعد كما كان .. أخذت الهزيمة بنصفه على الأقل .. هل هي مؤامرة يشترك فيها العالم كله ويؤيده الله ؟ واحس بكل شيء موجها اليه بالأساس .. كما اذاعت أمس القوات المسلحة السورية .. وهتف الدسوقي ..

— ارفع الصوت .. سوريا تتقدم ..

« .. القوات السورية تكس هجوما برياً على اسرائيل وتتقدم في الجليل الأعلى المدرعات وقوات المشاة المشتركة في الهجوم ، وتشتبك في معركة شمال سد الحولة . ولقد احتلت القوات السورية في طريقها مستعمرة « كاريتون » شمال سد الحولة بعد سقوط مستعمرة « شعاريا شوف » — ساهما كان محسن بينما رأس الدسوقي يتمايل في خيلاء يهتز لها كرشه وراضي يراقبهما معا — في يدها قبل الظهر ثم دخلت معركة مميتة قرب كاريتون مع القوات الاسرائيلية التي تحاول مقاومة تقدمها في داخل الاراضي المحتلة » .

٢٠

نفض محسن ليفادر الحجرة معتلاً بينما ينساب خلفه صوت المذيع الذي تعلق به الدسوقي بكل كيانه قال له راضي وهو يراه ينهض :

— انت تتعب نفسك وكألك المسئول .

أشار له الدسوقي بعصبية أن يسكت فابتسم راضي بين المرارة والدهشة .. وتخطى محسن باب المبنى الدراسي فوجد نفسه أمام الفناء الذي كانوا يجلسون فيه قبل التفوق على مواقع الدقاع المدني .. اتجه الى وسط الفناء حيث مربع من النجيل متسع ورطب .. استلقى فوق ظهره .. صمم على أن يعد النجوم جميعاً !

.....

كان الظلام من حوله يلف المنازل ويدثر الشوارع .. كتل البيوت المعتمة تبدو كما لو كانت صخوراً شبحية .. اختفى القمر في الليالي الأخيرة للشهر العربي بينما النجوم التي صمم على أن يحصيها بعيدة متباعدة ! أمواج من البلادة تتحرك داخله .. بيت تظلي .. ما قاله راضي .. آه لا فرق .. فالنجوم بمسده .. النجوم .. أن يحصيها كاحمق مريض .. لا فرق .. عمله السياسي .. آه .. نمل يسرى في رأسه .. كتب وكتب وكتب قراها .. نمل يهرى مخه .. صفحات دفاتر أيامه القادمة سوداء كليل حزينان هذا .. حلم الالتحاق بليل الإداب .. حلم انفتوحات الفكرة والفنية في رمن بضحك وبضحك .. من يملك مفتاح النور الآن ؟ .. ليل الحرب ثقيل .. أصدقاء .. كيف يكون العمر اغدا موقوتاً يا أبناء آدم وكيف حر التاريخ ؟ يدخل العرب في وحدة أو تدخل مصر في حرب مع اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل يا زعيمنا فلا فرق .. أمريكا الصهيونية وروسيا المصرية ويضحك علام فلا فرق . يفتصب

الصهيونيون فلسطين ويقيمون دولة مقطوعة الجذور ويطردون أهلها .. يا لها من لعبة سخيفة .. أكان ضروريا ذلك كله حتى نرى صايغ بيننا ؟ حكمة التاريخ أم خطيئة الانسان ؟ لا فرق .. تقوم قوات العاصفة بشن هجماتها على الكيبوتزات .. اليهود يتركون الكيبوتزات وينشدون القنادة ! .. أغراء دينسيس لاسماعيل وأغراء صهيون ليهودا ! .. لا فرق .. يكون فرقا للدفاع المدني والانتقاد ويظل منذ بداية هذا الأسبوع لا يذهب الى منزله ولا يرى أهله وأخوته ويموت تحت الرمل أبناء الشعب ولا فرق .. لا قيمة لشجرة معاوية .. ضرورة الهجرة أو حرية البقاء .. لا فرق .. كل شيء مثل أي شيء .. النجوم بعيدة والليل عبد ثقيل تملك زمام المملكة فليسال ، هل يوجد خطأ في هذا العالم ؟ أين وكيف يمكن ادراكه ؟ رأسه أم قدميه ؟ لا فرق .. التعب فيه جميعا .. حتى إذا قلب أيامه وسنينه فلا فرق بين مستوياتها ومنعطفاتها .. كانت معسكرات الشباب .. تنظيم الشباب .. وكان الجدل .. وكان العمل .. وكان الخداع .. كانت أرقى التقديرات .. الهلاك في العمل بمكتب القسم والنشوة في الهلاك .. الندوات الفكرية ومشروعات الخدمة والانتاج وحب العمال له وكره الرؤساء .. محور نقاش العمال كان والطلاب ومحل الاقتناع والحب حتى في الخلاف .. كم تحدث واعتترف باخطاء كثيرة لكنه لم يحجب الأمل ولم يتنخل عن حب زعيمه .. ان هذا الجيل كان على موعد مع القدر ! (( الاخطاء ايها الناس ليست من صميم الفكرة ! عشنا كثيرا لا نملك مقدرات الوطن .. عندما تعطينا هذه المقدرات نصبح كالطفل الذي تعطيه سلاحا لا بد يصيب نفسه .. لكن لا بد ان تستمر في تدريبه على الرماية )) ما فائدة السلاح الآن .. تمام لم يعد بعد .. فليضحك .. الا يضحك الزمن .. فليبك .. فليصمت .. لكنه

بالفعل صامت .. فليحطم اذن رأسه .. اننا نكون مجموعة من الشباب تؤمن بالمستقبل والوطن وبها نظمنا الى ان وجوده كقوة متحدة في الفكر والعمل يحمي العمل نفسه من شحاح السادة بالادارة وغيرها .

لماذا يتبخر الايمان والبخر للماء فقط ؟ لا فرق .. فليطحن رأسه ذنب الآباء الخونة والرسول .. « انت يا ولد يا بتاع الاشتراكية .. انتم تاكلون في المعسكرات ويشحنونكم بالاوهم » .. لكنهم لا يواجهونه الآن .. هل تفرض المركبة نفسها على افكارهم بالفعل .. المواجهة الآن أم غدا فلا فرق .. لا مواجهة بعد مواجهة ربح الشرق .. آه .. الغرب وراءها .. لا فرق ! مقتله هو سؤال أصداء البيانات الأخيرة .. ماذا سيحدث لو وقعت الواقعة ؟ يا لخدعة السؤال .. كيف تقع الواقعة وهي لا تكون واقعة الا بالوقوع ؟

نزيف الكلام ونوموس المعاني .. هذا النجم قصير العمر .. انه يتهاوى في الفضاء القديم !

« ايها الأخوة .. انه نجم يحترق مثلنا تماما .. لكنه نجيم » !

« ايها الأخوة .. ان ما حدث لم يكن شيئا جديدا عن مصر ، ارادت مصر ان تدافع عن العروبة ولكن المؤامرة الاستعمارية كانت اكبر .. لكن أيضا لن يمر المعتدى دون عقاب » .

« ايها الأخوة » انا نمر ....

نمر ! يمر .. الممرات .. متلا اسطورة المقاومة عام ١٩٥٦ .. لماذا لم يجد كلمة غير مر يمر هذه فهي مريرة وهو مرير !

« ... بأيام عصيبة ومجيدة معا .. اليوم سنعرف كيف  
نقاوم العدو وهو فوق أرضنا .. عندما نخلق الإنسان المقاتل  
نستطيع أن نطمئن على الكادر الاجتماعي والسياسي الذي يقود  
المجتمع ! »

فلنسخر أو نرقص أو نبكي معا .. كادر كلمة مستوردة  
من قاموس البلشفية ! .. كادر كلمة فرنسية الأصل ظهرت  
مع ظهور السينما .. مستوردة .. سينما .. مستوردة ..  
بلشفية .. سينما ..

« ايها الأخوة المهم المعنى وليس الأصل ولا خيانة في  
ذلك » ..

« ايها الأخوة كانت هناك خيانة من العرب عام ١٩٦٧ كما  
كانت من قبل ٤٨ .. ! »

« ايها السادة .. كان الله بعيدا عنا لاننا كنا بعيدين عنه  
والله لا يغير ما يقوم حتى ... »

« ايها الجماهير العظيمة .. خدعنا السوفييت ورحلنا  
ضحية لؤامرة الدول الكبرى »

« أمريكا هي السبب ودول البترول العربي لأنها لم تستعمل  
سلاح النفط ! »

« الرجعية العربية ساهمت في تخطيط المعركة ضدنا ..  
هربت الخطط الى العدو ، وأطالت حرب اليمن استنزافا لأموالنا  
وقوات جيشنا »

ايها الأخوة .. ايها المواطنون .. ايها السادة .. فليتحمل  
الجيل نقلابه ولتقو الأرض أمام ضربات يديه الهستيرية ..

البقرة الخبيثة حيثة في مكان خفي .. فلنفتش عنها معا ..  
فلنفتش .. ولتقو الأرض لتتحمل ضربات يديه ..

— محسن .. محسن .. محسن ..

« نحن راضى وهو يهزه .. أفاق محسن وجلس وقد بدا  
غارقا في العرق .. تنبه الى المكان من حوله .. لماذا يذهب  
بعيدا هكذا .. الا يمكن أن تتطور الأمور الى أحسن .. قال  
راضى : »

— الا ترى أن الجو هنا رطب ! ؟

— .....

— تنهض ؟

— ..... هل سمعت جديدا ؟

— الراديو مع الدسوقي يبحث عن أخبار عن سوريا  
والمقاومة .. سوريا متقدمة جدا والمقاومة تضرب في المؤخرة ..  
— ماذا سنفعل ؟

أفلت السؤال من محسن فأحرقه الأسف ..

— أنا عن نفسي لا أهتم الا من أجلك .. الحقيقة كما  
نمرقها انى أعد نفسي منذ زمن للهجرة الى استراليا ..

— .....

— هذا رأي منذ زمن بعيد .. أريد غربة حقيقية !

— هل تعتقد أن هذه البيانات صحيحة ؟ أنا لا أكاد أفكر ..

قال راضى بهدوء مشيرا الى نافذة بعيدة يشرب منها ضوء  
أحمر حافت لم تفلح الستائر في إخفائه :

- انظر .. هذا هو الصحيح .. ناس تحارب وناس ..  
..... هيا نهض .. الصباح رباح .. ان شاء الله ستكون  
كما قال يحيى خطة .. !! ..

نهض محسن وهو يبتسم لا يعرف ما اذا كان ذلك من  
يحيى ام راضى ام الخطة ! بعد اول خطوة في انجاء الحرة  
قال :

- لقد نسينا « تمام » يا راضى ..

- الصباح رباح .. لابد ان ننام الآن ..

- ٣ -

- متى يطلع الصبح ؟

هكذا تسأل الجندي الواقف في الخندق وهو يتنهد في  
توتر ، فقال صايغ :

- هل انت قلق الى هذا الحد ؟

- اكاد اموت ..

وشملهما الصمت من جديد .. حرك الجندي بندقيته الى  
اعلى فبدأ كمن يستهدف شيئاً لا يرى وقال :

- صعب ان تدور الحرب ولا يشترك فيها الجنود !

- قد يأتى العدو الى هنا ..

حملق فيه الجندي بدهشة .. كان وقوفهما معا في خندق  
واحد يجعل رؤية كل منهما للآخر ميسورة .. قال بارتياح :

- هل تعتقد انهم سيأتون ؟ لا اظن ذلك .

ثم سأل فجأة وبسرعة ..

- اسمع . لماذا لا تحملون سلاحا ؟



- ننتظر رسولا .. أرسلنا زميلا ولم يأت بعد .  
وكاد يسأله لماذا تصدق وتبلو غير مصدق لكن دهشته  
من تقلات الجندي أنسته وأغرقتة في تأمل الجندي نفسه .  
- وهل تنتظر الحرب ؟

- مشكلتنا أننا لسنا من رجال الجيش ولا المقاومة  
الشعبية .. نحن رجال الدفاع المدني ولا شأن لنا بالقتال هكذا  
قالوا .. قلنا إذن أرسلوا إلينا أسلحة للدفاع عن النفس على  
الأقل ..

قالوا ان السلاح في الطريق مع مندوب من فرق الأمن  
المركزي .. لم ننتظر وأرسلنا « تمام » وهو زميل لنا وركز  
الجندي عليه عينيه بسؤال .. وبعد ؟ ..

- لم يأت المندوب ولم يعد تمام ..  
عينا الجندي تشيان بأنه ، وقد اختفى شعاع الدهشة  
والتساؤل منهما ، قد كونا فكرة عن صايغ . فكرة مربكة ربما  
تعنى انه - أي صايغ - طفل لا يعرف شيئا ..  
- فلسطيني يا استاذ صايغ ؟

« قفز الجندي بالحديث يا صايغ ، فقفز فوقك الهم  
وصعدت المهانة الى حلقك فلا تتضاقل .. »

وقدم له الجندي سيجارة .. ود صايغ لو قدم اليه هو  
سيجارة ..

أحس انه لو فعل ذلك لأهان الجندي كثيرا .. أحس ان  
حاجة الجندي لان يأخذ هو ، صايغ سيجارة منه لها معنى

كبير ولو حدث العكس لأهان الجندي .. المهانة ، المهانة ، لماذا  
شعر الآن بالمهانة .. ود صايغ لو سأل الجندي .. لكن الجندي  
جذبه بهدوء الى أسفل الخندق .. الى الداخل قليلا حيث  
توجد مساحة متر مربع مستقوفة بالخرسانة . جلسا وجعلا  
يدخنان في صمت .. جعل صايغ يتتبع نفايات الدخان خلال  
العتمة .. تذكر ان زملاءه خفف عربات الجراج ينتظرونه .. كان  
بحاجة لان يبقى ولو قليلا مع هذا الجندي الذي تعارف عليه  
أمس .. أحبه ومال اليه بسرعة لا يعرف لماذا ؟ ربما لرقعة  
ملامحه وصغر حجمه ، لغموض أفكاره ، لوضوحها ،  
لا يهم ذلك كله . المهم انه أصبح مهما بالنسبة اليه ، شيئا  
ضروريا لا يمكن الاستغناء عنه .. انتهى من التدخين .. عادا  
يقفان ورأساهما يطلان من الخندق .. الشركة معتدة امامهما  
في عمق البحر ، مترامية على الجانبين كثيرا .. ورشها كتل ضخمة  
من الصمت والظلام والخوف والأعباء الثقيلة .

- ما هذا المبني ؟ اننى جديد هنا كما تعرف ؟

- مسبك .. وأمامه الحوض الجاف .

- يستخرجون منه السمك ؟

ابتسم صايغ .. وتذكر كيف انه عندما ترفع بوابة الحوض  
الحديدية يصبح هو والبحر شيئا واحدا . يصبح لسانا ممتدا من  
البحر .. وكيف بعد أن ندخل السفينة اليه وتوضع البوابة  
الضخمة من جديد ويتم سحب المياه المختزنة يظهر السمك  
الذي يتخاطفه العمال .. أي بحر من الظلمات هذا الحوض  
الآن .. أصبح فارغا من السفن احتمالا لأي طوارئ .. حكى  
للجندي عن ذلك .. وكيف ان منظر السمك وهو يحاول عبثا  
الهروب بشير الضحك .. وربما الأسى .. وكيف انه مع كل ضحكة

تنطلق تدرك أن فوزا بسمكة كبيرة قد تم وتعرف السمكة نفسها  
إنها انتهت .. كيف تصبح معركة السمك ميثوسا منها وبعد  
انتشاله كله تبدأ معركة العمال حول التقسيم .

— مسكين هذا السمك .. أنه يجد نفسه وحيدا .

اهتز صايغ بعنف .. أحس أن جسده كله ينتفض .. أنه  
يكاد يكره هذا الجندي .. وابتسم الجندي وقال :

وياخذ العمال الحوض .. دعنا من المعركة التي تحدث بينهم  
بعد ذلك . المهم . ما هذه الأبنية .. ؟

وأشار إلى أكثر من مبنى .. إلى أكثر من كتلة مظلمة  
ثقيلة ..

أجاب صايغ مبديا عدم اكرائه ..

— محطات للكهرباء والبخار والأكسجين ومساحات لتخزين  
الصاج حتى يدخل ورشة التشكيل .. ألا يكفيك هذا ؟

وضحك صايغ فوجد الجندي مطرقا .. جاء صوته  
منكسرا خفيضا ..

— ما أكبرها من شركة .. فعلا ما أكبرها يا استاذ  
صايغ ..

— .....

— هل يمكن أن يصلوا فعلا إلى هنا ؟ . سمعت أن أول  
سفينة معدة للتدشين ..

— الحرب ....

ولم يكمل صايغ وشرح الجندي ببصره عبر الفضاء السحيق  
الظلمة . هل حقا ستهبط السفينة .. ؟

نكر صايغ بسؤال الجندي .. ! ..

الميناء في حراسة كاملة .. المدمرات ولنشات الصواريخ  
ودوريات الديناميت ، والبوابج السوفيتية أيضا . أصوات  
عرقعات الديناميت مدراج صمت الليل .. يفكرون حين  
يسمعونها في مئات الأسماك التي تطفو ميتة .. في أخواتها ،  
آه ، فكر صايغ أنهم لم يفكروا في ذلك قط ، لم تتناول ذلك  
أحاديثهم ، أخواتها من الأسماك التي بعد أن تفرغ ما تلبث أن  
تعود بسرعة وتطفوا في لمح البصر لتسحب ما قتل إلى الأعماق ..  
تأكله .. لكنها لا تتركه لأعدائها من الطير .. !

الأعداء الذين ينقضون لا يجدون شيئا .. ماذا يحدث  
لو لم ذلك ؟ .. آلاف العمال .. آلات من السخط سيكونون  
بعد الهدوء .. لكن ما الفائدة ؟ وما الشركة أمام وطن كامل ضاع  
تحت أقدامهم ، وأقدامنا من فضلك ، هكذا قال لنفسه ..  
هؤلاء على كل حال يستطيعون البناء من جديد .. أنهم المصريون  
وكلمة مصر عندما تقال تعني البناء والحمول الثقيلة .. المهم  
المخزون .. هنا أرض تعرف البناء .. جاذبة .. لا تعرف  
الخروج .. ولن يستطيع اليهود أن يأخذوا ثأرهم ويخرجوهم !  
أنهم هم الذين خرجوا .. خرجوا أو أخرجوهم .. المهم أن  
المصريين لا يخرجون .. لكننا لم نخرج .. بنس الفعل فعل خرج  
يخرج ، طرد بطرد ، ضاق به الخندق وقال الجندي :

— ثلاثة حروب في عشرين سنة ..

« مئات الحروب لو تعلم .. صغيرة ولكنها حروب كاملة ..  
وكل هذه الحروب واحدة .. ما أفظعها من حرب مليئة  
بالحروب .. كل هجمة على مخيم حرب كاملة في عينيه ..  
تستطيع أن تحصي أي أسرة فتعرف عند الحروب التي  
خاضتها .. وربما هذه هي المصيبة » .

— اى جنس هؤلاء يا اخى .. لماذا يتركهم الله ؟

هكذا قال الجندى ورفع بندقيته يصوبها الى الفضاء  
بحزم .. بتهديد غير مفهوم .. ودار حول نفسه ورفع البندقية  
أكثر بحيث صارت فى وضع رأسى تماما وبدأ كمن يستعد وهو  
يصوب نحو هدف مجهول أن يتلقى خنجرا فى بطنه !

قال أبوه ، وكان بعد صغيرا :

« كنا نحب غزة ومن ياتون من غزة ولكن لم تكن نحب أن  
نرحل اليها بالبحر وتحت مطر المدافع » .

وعاش أبوه يكره البحر .. وعاشت أمه تكره البحر . وكبر  
هو يكره البحر .. « البحر موت ابتلع بنتنا العروس » .

هكذا كانت تقول أمه كلما ورد ذكر البحر فى حديث ولكنها  
كانت تقول أيضا « الخروج فكرة لم نفكر فيها ، ها نحن فى غزة  
ياتون إلينا بين الحين والحين .. لكنك رايت بنفسك ما فعله  
بهم الشباب عام ١٩٥٦ » .

هل دخلوا غزة الآن ؟ هل يرون البحر كما رآه هو ؟ كان  
صغيرا لكنه يذكر .. يذكر التدافع والهرج ويذكر آلاف العيون  
الهلعة .. ويسمع الصراخ والعيول ويقول لنفسه كلما كبر يوما  
بعد يوم متى تكف الريح القديمة عن الاصطخاب فى أذنيه ..  
ويذكر وجه أمه نارى الفزع .. ودموع أبيه الجافة ! .. ويذكر  
أنه كاد ينسحق بين الأجساد على سطح خشبى قالوا أنه سفينة  
وقالوا أنه زورق ولكنه يذكر أنه لم ير إلا أجساد بر بداخل  
وتنبعج وتنتفض وبتاردها حتى رذاذ البحر .. أنهم يسقطون  
جنود المظلات فى سبيل .. يهاجمون القسيمة والكوتبلا

وأبو عجيبة .. لم يذكر اسم غزة حتى الآن .. خطه هى فصلا  
تنسجها القيادة المصرية .. يا حكمة يحيى الخائنة !

— اليهود .. الله .. نحن

كان الجندى يردد بصوت خفيض .. بإيماع يائس وربما  
ساخر .. ويواصل ..

— أمريكا .. الله .. روسيا ..

« أنا الله القدير أسلك أمامى وكن كاملا فاجعل عهدي بينى  
وبينك واكثرك جدا جدا وتكون أبنا جمهور أمم .. لا يكون  
اسمك أبرام بل إبراهيم .. إبراهيم الذى حملنى نصف الطريق  
عن أمى .. الذى لم ينقطع يوما عن ذكرى يافا .. إبراهيم الذى  
كان لا يننى يبصق طوال الطريق بين المخيم .. الذى كان يبشر  
سمن الأمم المتحدة ودقيقها على الأرض ويدوس عليه بالهذاء  
ويقول للشيخ والعجائز . لا تلومنى فهى ليست نعمة الله ..  
اجعلك أمما ويخرج منك ملوك .. اعطيك أرض غريتك ولنسلك  
من بعد جميع أرض كنعان كلها ملكا مؤبدا .. إبراهيم الذى قرا  
التوراة وقال « لا عرف سر نبيهم » ومات .. خرج فى غارة  
عام ١٩٥٦ وقال لا تنتظروا عودتى .. الخرافة تأخذ حظها فى  
العالم يا صديقى الجندى .. سأتجو بالموت من الموت نفسه  
وصدقونى أنا رجل ميت رغم أنى أدلق السمن والدقيق كل  
شهر .. والبيانات العسكرية الم تسمعها .. الخرافة تأخذ حظها  
فى العالم أيها الجندى الشقى » .

— لماذا لا تضحك يا استاذ صايع .. لا تبتئس .. أنا  
لم أشأ أن أزعجك .. سآكرنا ذاهبة الى غزة لشراء بضائع  
مستوردة .. يعنى الثقة كاملة ! هل كنتم ترونهم فى الطرقات ..

أفصد - وضحك الجندي ضحكة هزما الليل - كنت أريد أن أسألك سؤالا فخرج سؤال آخر .. وسكن وفي عينيه أسى ..

« غزة يا نجلاء .. جرح قلبي وصدر أمي وتاريخنا طعنته واسعة .. آه لو دخلتك الأرجل العقرية .. تلك التي كانت تدب طول الليل وترفض ونحن قابعون محظوروا التجول .. نجلاء .. طمئني .. وجوههم هل تفرغ ذل التاريخ عليك ؟ ستصرخين .. سيعتدون .. يعتدون .. مضحك هذا الأمر .. المعتدون يعتدون ! .. كم في الكلمات من خدع .. ستقتلين نفسك .. لا تقتلي نفسك هذه المرة .. لا تكوني واحدة في طابور طويل .. ويسأل الله يوم الحساب لماذا انتحرت والروح من أمري ؟

وتقول نجلاء .. حتى لا ألد صهيونيا .

سيفلق الرب الحساب . لا تنتظري .. ستقاوم نجلاء .. ستقتل بسناكي بنادقهم .. ويسأل الرب يوم الحساب .

- لماذا انتحرت ولم يمسسوك ؟

- لم انتحري .. قتلوني .

- قاومت فاعطيتهم فرصة القتل .. عليك المسؤولية ..

- لا احب ان احمل صهيونيا ؟

هكذا لأنه لا يواجه الرب احد .. سيفلق الرب الحساب .. لكن لماذا النسيان هناك ايضا .. ستصرخ نجلاء .. سينطلق اسمي صائفا لخوفها وربما عنادها .. ساموت هنا .. من كان يدري ؟ .. منذ ثلاثة شهور فقط كنت هناك وها انذا موثوق من كل ناحية .. خستت من هواجس مدنسة .. اتركيني اثرثر

مع هذا الجندي .. آه .. كما أن هناك احتمالا بأن في الأمر خدعة فماذا يمنع أن يكون هذا الاحتمال خدعة ايضا ؟ الأمر غامض كلينا هذا .. اختفى القمر .. نحن الذين نتكلم كثيرا وآمالنا واضحة لا نعرف شيئا .. ونبؤاتهم الفامضة تتضح .. ويختفى القمر ولا يكون الا ليل . وتخدمك الأمم ويكون لا عنك ملعونا ومباركك مباركا .. ويعطيك الرب من ندى السماء ومن دسم الأرض طوبى لك يا إسرائيل من مثلك شعب منصور بالرب هو ترس عونك وسيف عظمتك ؟ وكل مكان تطؤه أخامص أرجلك اعطيته لكم كما قلت لموسى .. »

- لماذا لا يحارب الله معنا ؟

« وموسى قال لهم انما انبئكم بمن ينقل الذخائر للفدائيين بالبحر وكان عليهم .. وكان صمته بعد ذلك حتى الآن .. هل تعرف اننا تركنا موسى طويلا ؟ »

- يا أستاذ صايف .. انت تحدث نفسك .. اسمع .. الشعب للأسف ابتعد عن أشياء كثيرة .. اليوم يضرب الولد أباه .. البنت تبلغ فتجري وراء أبناء الحلال والحرام وتجمع بينهم في وقت واحد .. والنسوان حكمن الرجل والرجال يبحثن عن نسوان الجيران وكثر اللصوص وشارع النصر صار شققا مملوكة لصالح الليبيين ولاشهر النسوان .

- .....

- ما يضايقني هو موقف الروس .

- .....

— لماذا لم تجب على سؤالي .. قلت لك ألم يسبق لك  
ان أحببت .. ؟

قال صايغ لنفسه .. لعل هذا هو السؤال الذى  
استبدله .. ولم يمل شيئاً للجندى ..

— انى الملح شيئاً قادمًا فى الظلام .. انه لا يسير فى اتجاه  
واحد .. انزل أسفل الخندق حتى تستطيع ان افاجئه واعترضه  
لاسمع كلمة سر الليل .

وقبل ان يختفى صايغ داخل الخندق سمع الجندى يسأل :

— هل ستظلون تنتظرون رسول السلاح هذا ؟

— ٤ —

فى مبنى الادارة ، ذلك الموقع الثالث لفرقة الدفاع المدنى .  
تلك الفرقة التى جمعت أكثر شباب الشركة اهتماما بما يجرى ،  
والتي نيط بها دفاع هامشى عن مواقع هامشية حيث ترك الدفاع  
المدنى عن الورش وأماكن العمل الرئيسية بالشركة لفرق أخرى  
أقل قدرة واهتماما ! . فى أكبر حجرات مبنى الادارة كانوا ..  
وكان الليل يتجه الى النهار والترقب القلق الى حرائق للأجساد  
والأرواح معا . والحجرة واسعة بها حوالى عشرة مكاتب يتحول  
فوقها العمال ومصالحهم الى أوراق فى أيدي الموظفين وأرقام ..  
وكان انور متحفزا للشجار ويود لو حارب حتى الهواء .. سأل  
نفسه فجأة عن السر فى أن يكونوا رجالا هامشين يدافعون عن  
هامش .. كان يقول لنفسه ان طائرات الأعداء لن تميز بين القلب  
والهامش ولكن ذلك لا يمنعه أن يتساءل عن معنى الموت على  
الهامش ؟ وكان ينظر حوله الى زملائه بمرارة .. انهم فى نظره  
لم يتوصلوا الى فهم ما توصل اليه .. اندفع يصب قرفه  
فوق خليل .

— انت فقط تجلس تتمتع وتبقي بشفتيك ولا نعرف ماذا  
تفعل او تقول .

تحركت عينا خليل اليه ثم تحولتا عنه بسرعة الى سقف  
الحجرة المرتفع وتتابعت حركات شفتيه .

كتم صقر ووقفا ضحكة .. احسا انهما حتى لو ضحكا  
لما صدر لضحكهما صوت .. كان طعم مر في حلقيهما ..  
توجس كلاهما ان يكون طعم الهزيمة وقال علام :

- قلبي ينبأني انه ستظهر الليلة ضفادع بشرية للعدو  
بالشركة .

- الاشارة التليفونية التي ابلغنا بها مسئول منطقة الحوض  
الجاف تقول انه ظهرت ضفادع بشرية في رأس التين وعلينا  
الحذر ..

هكذا قال الشحات بجدية وهدوء فتساءل صقر ببرأءته  
وذهوله المهودين وفي عينيه بريق الدهشة والخوف الطفولي ..

- ألم يقل ما اذا كانت الاشارة جاءت من الاتحاد الاشتراكي  
ام من غرفة العمليات ؟

هتف خليل فجأة وكان قد وقف .

- انه وحده الذي يندبر ! ..

« من الذي جعله يشترك معنا ؟ .. هكذا سأل انور نفسه  
في مضض وقال :

- هل تعرف الله حقا ؟ انت مهووس .. انت لا تعرف غير  
الحضرة .. - وجعل يطوح برأسه - الله حي .. الله حي ..  
وهل قال لك احد انه مات ! لقد نسيه الناس منذ زمن يا ..

دارت عيون صقر ووقفا تتسائل ما هذا الذي يحدث ..

ولم تجد عين في عين اجابة .. سقطت الاجابة فوقهم بلدتهم ..  
الحرب تدور عليهم .. اطل الاستخفاف من عيني علام بينما رفع  
خليل وهو واقف يديه الى سقف الحجرة . واستدار الى انور  
مصوبا اليه عينين ناريتين مجنونتين بالعصب بينما كان انور يقول  
في نفسه « عادت ريمة .. » .. أدرك الشحات بحاسته نذر  
المعركة بين انور وخليل فتدخل بهدوئه المعهود ..

- دعونا من خلافاتكم الساذجة .. لقد توقفت الاذاعة  
منذ فترة وهذا الراديو لا يساعدنا على سماع اذاعات اجنبية  
في هذا الوقت .

وبرق في ذهنه خاطر سريع .. لماذا فعلا لا يستطيع الراديو  
الآن بالذات اسماعهم بالاذاعات الأجنبية ؟ الحرب لا تنتظر حتى  
الصباح .. ونحن نقرب من الفجر .. وتهدج صوته بالبكاء  
وأحس انه يجيب على ذلك الخاطر السريع وكاد يقول ..  
نحن لا نعرف ماذا يحدث لاختونا .. الليل طويل جدا .. لماذا  
يتعطل الصباح .. ؟

تهادى صوت خليل بطيئا موقعا وهو لما يزل ينظر الى  
انور بتحد وبدا كمن يوجه حديثه لقوم آخرين ..

- سيظل الليل طويلا .. لن يعود تمام .. لن يجديكم  
لينين ! ليسمعني أبناء الأفامى .. لماذا تريدونني حبيبا  
للينين ؟ ..

انتثر الشحات واقفا .. أحسن فجأه أن المكان ضيق  
عليه .. انه لا حاجة اليه .. أن رأسه صغير جدا لا ينقع ولن  
يتسع لشيء .. حيثما وقف كان هدوءه قد سقط عنه وظل  
فوق الأرض ..

- أرجوكم .. كفوا .. أنى متعب للغاية .

واتجه الى الحجرة المخصصة للنوم ليأخذ حصته بينما  
جعل خليل يدور في الحجرة وقال صقر محاولا تغيير مجرى  
الحديث :

- الادارة هذه معنقل يحتاج الى قنبلة اسرائيلية ..

- ولماذا تكون اسرائيلية ؟

هكذا سأل انور وفي سؤاله نبرة ادانة لصقر بالغباء  
وسمعوا خليل يهذى ..

- انه يراكم يا ابناء الأبالسة .. اشركنم به البشر .. انه  
يعرف .. يمهل ولا يمهل .. انه في سيناء الآن لعنة حسبتموها  
منسية .. !

واتجه الى حائط مسدود وجعل يدق عليه بيديه .. أشار  
انور اليه بهدوء وهو يقول :

- لو أرسلناه .. لو لم ترسل تمام .. كنا استرحنا منه  
على الأقل ..

وتابع خليل حديثه ..

- اذا ذهب خليل لن يأتى الخلاص .. انه فى كل مكان ..  
يا .. انذار ..

بدأ الموقف مضحكا .. لكن شجبت رغبتهم فى الضحك  
حقيقة كونهم بلا سلاح حتى الآن .. انهم يتكلمون فقط ..  
قام علام بهدوء منسلا لينام دون أن يقول ذلك .. قال وفا :  
- عندما سمع علام من السلاح اختفى كمسدس كاتم  
للصوت ..

وعاد الشحات صامتا لأنه عندما استلقى فوق السرير  
بالمخبا أحس انه لا حاجة له أن يبذل جهدا جديدا كي ينام ..  
وإذا بصقر يتخلى عن براءة الأطفال وينفجر فى عاصفه ..

- انى اشعر أن المسألة عبث فى عبث .. اشعر انه لا يوجد  
من يفكر قينا .. اننا رحنا ضحية لعبة سخيفة .. ثم لماذا  
يكون علينا أن نحرس هامش الشركة .. !

فبل أن يتنبه انور الى التساؤل الأخير .. التساؤل الذى  
سأله لنفسه من قبل كان صوت خليل وقد اتجه الى حائط  
آخر وجعل يطل من النافذة تجاه السفينة يملأ الحجرة ..

- نحن ضحايا أنفسنا .. انه موجود .. انه لا يأتى حتى  
ندهب اليه .. انه آت .. ليس من اجلنا .. علينا آت اليوم ..  
لقد تركنا السفينة تبنيها الأفاعى .. لم نبناها كما بناها نوح .. !

صرخ انور .. لم يفلح أن يتمسك بحبل الهدوء الزائف ..  
صرخ بعد أن لعن معنى أن تدور الحرب ويدور خليل فى الحجرة  
حولهم وبعد أن سب محسن فى نفسه اذ سمح له بالاشتراك معهم  
ولعن مواقف التهاون والتخاذل ومسك العصا من المنتصف ،  
بل وأن يكون للمسألة الوطنية معنى غير معنى المسألة  
الاجتماعية .. !!

- هذا المعتوه يدور فى متاهات .. أخرجوه أو دعونا  
نخرج .. - وتكس رأسه بحزن طافح على جبهته - لا شيء جاد  
فى هذا البلد .. هذا ما قلته دائما ..

- انه يسمع ويعرف .. لماذا ننتظره اليوم بعد فوات



الأوان ؟ سفينتكم جور .. انه اليوم لعنة في سيناء .. لعنة  
في سيناء ..

..... -

..... -

..... -

- عندما اذهب اليه يغمرنى بحبه .. وانجبه .. وآراه ..  
وبرانى .. يمد لى يده .. مشعة .. يقول يا ولدى المسكين ..  
الطيب تفال الى .. الى روحك .. اليك ! .. كذوب  
فيه .. عادل هو .. طريقه طويل صعب .. نهايته مسك  
وعنبر .. طريقكم ليس له آخر ..

وبدا ان خليل وهو يقول ذلك لم يعد يسمعهم .. احسوا  
انه قد فارقهم تماما .. كيف سقط جدار سميك بينه وبينهم ؟  
ليست لديهم قدرة على التحليل والفهم الآن .. انور يشتم  
بعنف .. الشحات عاد لينام من جديد ! .. لحق بعلام الذى كان  
قد لحق به .. وفا صقر ملاهما الأسف والحيرة .. قال صقر  
لنفسه ما معنى ان يشعر الانسان فجأة انه لم يعد يقهم ..  
راوا خليل يتجه صوب البلب ويعبره الى الخارج .. كان يعنى  
بشبات كلوح رفيع .. كرجل ربط في كهف مئات السنين ثم فكت  
قبوده فجأة وطلب منه السير .. نهض وفا وقد شعر بنفسه  
متحررا اكثر وجعل يدور في الحجرة ويقول ضاحكا وساخر ..

- أيام ملخبطة .. تحرشات على سوريا .. مصر تعلن  
حالة التأهب وتتحرك جيوشها الى سيناء .. محمد عبد الوهاب  
يقطع اجازته في لبنان ويعود الى القاهرة ليكون في خدمة  
المعركة .. رئيس هيئة اركان حرب الجيش يرسل خطانا الى

الجنرال ريكي .. اسمه هكذا .. ريكي ! - ويظل وفا يضحك  
بهستيرية ويكمل - كى يسحب قوات الطوارئ .. يوثات يلص  
رحلته الى لندن للتباحث مع جورج براون ، جورج بنى ، هل  
رايتم وزيرا بنيا ، للتباحث مع بنى هذا حول الجنوب العربى  
ويتابع الموقف من الأمم المتحدة .. صور لمشاه والطيران  
والمدركات .. عساكر تضحك ملء الفم .. اغان للمعركة ..  
حركة تلحين .. اهل الفن يجتمعون ليخوضوا المعركة ..  
رسالة يومية من أم كاثوم للجندود والضباط .. قوات من الكويت  
والعراق والجزائر لمصر ..

« وكأنا يصير العرب دائما على الهزيمة معا » .. ونهض  
انور بعد ان قال لنفسه ذلك وجعل يدور في الحجرة بدوره حول  
وبين المكاتب ويطرق عليها بكفه في ايقاع ينتظم مع كلامه ..

- وتحية كاريوكا طلبت السفر الى الخطوط الامامية ..  
واعلن الرئيس اغلاق خليج العقبة .. ويوثات يصل ويسحب  
قوات الطوارئ ويعود .. يوثات اعطى ويوثات اخذ ! ..  
وحاملة طائرات أمريكية تعبر القناة في طريقها الى المحيط  
الهندي .. وانا .. مش خرع زى ايدن !!

وبدا صوت وفا وهو يتكلم يمتزق باختناق البكاء ..

- وحضر الملك حسين والناس حتى يوم اربعة يونيو كانت  
تزوج ورجل استغل الظلام افترق في امرأة بالأتوبوس وهى يبدو  
انها « علة » استمرات .. و خليل يريد أن يجننا .. ساعة يصلى  
نا وساعة يصلى علينا ! ورسول السلاح لم يأت وتمام ذهب  
ولم يتم شيئا .. خرج ولم يعد ولم تعلن عنه صحيفة سيارة !

الأرض تطويهم تحتها وتقلبهم وتطويهم وتقلبهم .. وصارت  
وجوههم معلقة على صلبان ينظرون اليها من أسفل ! وصارت تنين  
خرافي يدهس رؤوسهم بأياديه الاخطبوطية .. قفزت الأنوف  
محل الشفاه والعيون محل الأنوف والشفاه النصقت بالأفقية !  
تلوت الأجساد وتشابكت .. تبادلت العيون نظرات ملتوية  
عنكبوتية متلصصة مرعوبة وغبية .. صارت الأرض قتادا ساما  
محددا والسقف وطأة زمن قديم كهل .. صاروا أجولة فارغة  
سلطت عليها تيارات هوائية عنيفة من كل جانب .. ينبعجون  
وينكمشون .. تتحركون في كل اتجاه وهم قابعون بضبط آلاف  
السنين من القهر والخوف والتوجس والكف الميت ..

وتشنج صقر وجعل يدور معهما في الحجرة أيضا ويقول :

— والجيش لا نعرف عنه شيئا .. أموره سيئة بالتأكيد ..  
وسننتساحر أو نهذى .. ترى من الغالب ومن المفلوب في اللعبة  
هذه ؟ ابن الحفيضة في هذا كله ؟ ابن الحقيقة ..

وثوقوا فجأة على سؤال صقر .. التقت عيونهم .. فيها  
خجل .. مشع منها قنوط يتحول الى حزن وخوف .. هل  
انتهوا كلهم كخليل ؟ سؤال تعلق فوقهم ثقيلًا مرعبًا .. وسقط  
الثلاثة فوق الأرض كما لو كانوا عرائس علقت بخيوط تركها لاعبها  
فجأة فهوت فوق خشبة المسرح بلا حركة ..

دارت عينا صفر مرعوبتين في محجرتيهما وهو يقول :

— اخشى أن تعطل الحرب أول سفينة بنيناها ..

« اثبت محلك »

بصوت صارخ عميق اجش مخيف مزلزل نطقها جندي في  
خندق بعيد .. بعيد لكنها سقطت فوقهم في الإدارة فجمدتهم ..  
اختنق وفا مذعورا وهو يقول :

— جندي يعترض ؟ .. كلمة سر الليل .. ؟

وصرخ أنور .. أجل أنور !

— لمساذا تركناه يخرج ؟

ودوت طنقة هتكت جدران الليل السمكة ففجرت كوابيسها  
المدفونة .. تلوى الكون وصخب الفضاء وكأنما كل شيء فيه  
محتج .. تحركت أحشاء الجميع كأن الرصاصة تتلوى فيها ..  
مرق كروان سريع يصرخ كافرا .. كأنما الغرفة تدور بهم والإدارة  
تسقط جدرانها فوقهم وسقوطها وكل نظمها القبيحة ! صارت

مناجاة خليل التي

لم يسمعها أحد

- « لحظة طلوع الروح »

« اجيء اليك ، هل تقبل ؟ . تشردت روحي في الافاق ..  
رأت خرابا يزول ، وخرابا يحل . لكنها ما نظرت الا اليك ،  
وما سمعت خلاف كلامك » .

\*\*\*

« القيتني في اليم وقلت لي ، اياك ان تبطل بالماء ! .  
اظالم انت ؟ حاشا لك .. حاشا لك .. ولكن .. لم يفهمني  
احد من خلفائك » .

\*\*\*

« قالوا مجنون .. قلت عبد يسمى ، فضربوا على الاذان  
ورايت .. وما ابشع ما رايت ، الام تكلى والابن موجود ! وترمل  
الرجال والنساء في احضانهم .. ما هذا اليتيم ؟ ما هذا  
اليتيم » ؟

\*\*\*

« الناس لا ترى الا ما يجري امام العيون .. أه .. هذا  
لب المسالة .. اما اننا » ..

\*\*\*

« بحثت عنك في كل شبر ووجدتك في كل شيء .. صبار  
قلبي قابلا صورك وبدين الحب صرت أدين .. الحب أنت  
والعشق منك والتوق بك والتوق اليك فلماذا الرعب والهول  
بسكنان الأشياء جميعا ؟ لماذا الأيام تتوقف والانتظار يطول ؟  
لماذا تتلبس الأرواح بأليس ويتلبسها ؟ وأنت عنى تبتعد رغم  
أنك بين الشفاف والقلب تجري مثل جري الدمع من أجفاني » .

\*\*\*

« في حضرتك أبكى .. في حضرتك أقول لك ما لم أقله  
إلا لك .. تعرف رحلتى وسرى وسر الصمت وحملى اذ ناء  
جسدى وكلت عزيمتى .. تعرف حين رفعت صوتى أشق صمت  
قبر العالم كيف بحث عقيرتى » .

\*\*\*

« قلت اذهبوا اليه ياتيكم قالوا انه هنا ، انه العدل وانه  
الشيوع ولم يقولوا قط شيئا عن القسطاس المستقيم لكن لماذا  
ظلمت بعيدا وليس من ساكن تحرك الا انت » ؟

\*\*\*

« قلت ما قلت .. لا تسرقوا ، ولا تزنا ولا تكذبوا ..  
لا تهنوا .. كونوا أشداء على الأنفس والأعداء وكانوا يلفظوننى  
ولم تؤيدنى وروحك .. آه .. مزجت بروحى كما تمزج  
الخمرة بالماء الزلال » .

\*\*\*

« بلدى .. بلدى .. والأفاعى بلدى .. ومدينتى لاهية ..

لماذا لم تعطينى عصا موسى .. قوة شمشون .. ألسنت أنا  
أنت .. ألسنت أنا الذى أهواك وأنا أيضا الذى أهوى ؟ !  
لماذا لم تجعلنى أذبح ثور العالم الهائج » .

\*\*\*

« ماذا تنتظر من الشجرة الآن والأرض اندرت زقوما  
وخسرت صيحتى ولم أكمل لهم شيئا .. من ذا الذى أخطأ ..  
جندى أطلق رصاص سلاحه الحائر هو الذى أخطأ أم ذلك  
الذى أطلق رصاصه الفادر ؟ أم ذا الذى شد الناس للاهواء  
وحدثهم حديث الشعر والنجوى بعالم مزهر طريته بحر من  
الدم .. وأعطى الوعد للناس .. لكم فى الأرض أمكنة وأهل  
الأرض غرباء وسافعل لكم شيئا لم يكن يفعل ! .. أنا الذى  
أخطأت واستحققت القتل من جندى لا يعرف لم يقتل » ؟

\*\*\*

« أشفع أنا المقتول لقاتلى المسكين .. الخوف قتال  
يا ربى فكم مرة مات البائس المرعوب ولم يعرف سرا سادجا  
مشهورا وهو الذى حمل شرك الأكبر » !

\*\*\*

« آتيك وحيدا تركت خلفى عصفورا مذعورا شق الليل  
برصاصة رعاء ، وحيدا تركت العصفور الذى لعله يبكى وحيدا  
كما آتيك » .

\*\*\*

« عريانا آتيك كما وندتنى أمى ، كما جئت فى طريق  
مظلم وطويل .. ها أنذا أترك كل الناس وخلفى كل الأخطاء ،

لكن رحلتى صارت عبثا .. بدان بطلق لا يعرف الرحمة وانتجت  
بطلقة تطلب الرحمة » .

\*\*\*

(( يا من كنت سمعى الذى به أسمع ، وعينى التى بها  
أرى ، ويدي التى بها أبطش - لم أبطش - وساقى التى عليها  
أمشى ، وعين عين وجودى ، ومدى همى ، وكل كلى ، وتباعيضى  
وأجزائى ، أجبء اليك الآن منفصلا عن الدنيا ، ولتخرب الدنيا  
فما بجدينى أن أحيا ، كانت حياتى حلما تكشف عن كابوس ،  
فالامر لك ، والملك لك ، وكل ما فى الكون لك ، لك ، لك ،  
ولتدهمهم بقراتك السبع المجاف أو فلتزدها عشرات ، ضراعتى  
لك الا تنسخ روحى التى تفر منى الآن وتجعل كل الأبنية من  
حولى تنهار ولا يبقى سوى ليل ودم يقطر منى لا تشربه  
الأرض ويلغ فيه أبناؤك سنينا وراء سنين ولا تجعلنى أعود  
لانى لن أعود .. لن أعود .. لن .. )) .

\*\*\*

## اليوم السابع

- الانسحاب  
وهل كان على  
جبهتين ! ؟

- ١ -

وضع محسن نفسه في الأتوبيس . لقد كان يشعر أن الدهر كله سينقضي في التحقيق ، وهو الآن يود لو نام في المركبة ! لو يفسح له أحد مكانا ينام عليه .. كان ممسكا بالعمود المعدني اللامع الممتد أسفل سقف المركبة بيديه .. أراح رأسه بين ذراعيه وجعل يستدعي النوم .. هربت الطاقة وفزعت منذ الفجر .. هرب النوم مع هروب القوة ! ما أبشع ذلك . كأن بركانا تنهار حممه النارية فوق رأسه المهرق . ما الذي شق الليل وحطم أكفانه .. ؟ ضفادع بشرية ؟ تخريب ؟ جرى ودار في ساحة المركز .. راضى يجري خلفه والدسوقي خلفهما ! يجرون ويدورون كأنما يريدون اللحاق بشيء فات . لا يلحقون حتى ببعضهم .. صوت الطلقة قادم من بعيد .. صوت جرس التليفون يتوالى مقبلا في الحجرة فيدور بهم كمجلة النار ..

- آلو ..

- .....

- من يا وفا ؟

- .....

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب



— خليل !؟؟ غير معقول ! ..

لماذا لم يكن ذلك معقولا ؟ سؤال لم يجد فرصة ليقفز الى الذهن .. اختلطت خلايا الراس وفسدت .. صار الليل فرسانا اسطورية تخب .. أفراد من الجيش وشرطة الميناء وضابط وكلام واسئلة تطير من كل ناحية .. لا احد يسمع ولا احد يسكت والجندى .. القاتل .. القاتل ! منكسرا يردد ..

— لم يرد بكلمة سر الليل .. لم يتوقف .. لم يرد بكلمة سر الليل .. لم يتوقف .. لم يرد .. لم يتوقف .. لم .. لم ..

س : اسمك ؟

ج : محسن كامل .

س : سنك ؟

ج : واحد وعشرون سنة .

س : عملك ؟

ج : مدرب كهرباء بالمركز .

س : هل انت رئيس وحدة الدفاع المدنى ؟

ج : اجل ..

« هل انت جزء من المؤامرة » ؟

س : هل القليل خليل العربى من افراد القوة التابعة لك ؟

ج : اجل ..

« كيف يصمد العقل والجسد .. ؟ ما ابشع الدفاع المدنى

امام الولايات المتحدة ! كائنى وحدى المسئول .. لاضحك بالمرارة كلها ولتنجس الدموع ، ها هو تحقيق فى قتل ! .. بتسع الزمن الاجرب لكل شىء ، هجمة الصهيونية وهجمة البوليس !! »

س : لماذا كان موجودا بمكان القتل .. هل هناك مناطق لقوتك هناك ؟

ج : قوة الدفاع المدنى الخاصة بالمركز يمتد عملها ليشمل الجراج والادارة وكل ما يقع بين الادارة والمركز .

« رسول السلاح لم يأت يا حضرة النائب .. وتمائم ذهب ولم يعد .. هل قرأت عنه شيئا فى الجريدة فى باب الضالين .. خرج ولم يعد .. خرجتم ولم تعودوا .. خرجنا ولم نعد .. خليل ايضا خرج ولم يعد ! والاسرة التى تنتظرنى منذ اسبوع تقول عنى خرج ولم يعد ، وتركت الاب الى السياسة فخرجت ولم نعد .. ليس مقدرا لنا ان نعود الى شىء ، واذا عدنا يا سيدى خرج الشىء ولم يعد » .. !

س : فى اى موقع من هذه المواقع كان خليل ؟

ج : بموقع الادارة ..

س : بماذا تعمل وجوده فى منطقة خالية لا يوجد بها شىء بين الادارة والجراج فى هذا الوقت .. ؟

ها هو الأوتوبيس يتوقف .. لا أحد يهبط .. لا أحد يصعد .. ليس هناك من واقف غيره .. لو التفت اليه الجالسون لراوه مشبوحا فى وقفته لا ينقصه الا جلاد يهوى على ظهره ..

ج : فى الحقيقة لا استطيع ان اعطى ذلك لأن من واجبه الا يفادر موقعه ..

(( ماذا تريد أيها النائب .. أنك لا تعرف شيئا فكف عن سخافاتك .. أسألتني من أنا ؟ اسمي ليس دليلا على ولا عملي .. لماذا نحن هنا ؟ لماذا تشتت عقلي بين تيارات عدة ويتشتت الآن بين الجبهة وهنا ؟ .. لماذا أكد من أجل غيري ؟ .. هل تعرف أنه قد أضاع بي قانون جائر للمعاشات ؟ لماذا لا نحقق شيئا ويحققى الكاذب والمدعى والصهاينة ! ؟ يشلنى انهيارى عن أن أقذف فى وجهك خلايا المخ البعثة .. لقد «مد العدو معاش أبى وحددنا نحن الهزيمة فى سيناء ، اليس كذلك يا سيدى ؟ لسانى فقط يجيب عليك » .

س : هل كان يعرف كلمة سر الليل ؟

ج : أجل ..

س : كيف تبلغها لهم ؟

ج : !لفهم بها قبل التفرق على المواقع . وإذا جاءت الكلمة متأخرة أمر بنفسي ولا أحاول إبلاغها عن طريق غيرى أو بالتليفون ..

س : هل يمكن أن تأتى الكلمة متأخرة ؟

ج : .....

س : اجيب ..

(( ها ها .. وتظن أنك أمسكت بى لأننى تعشرت فى الإجابة .. لا تعرف ماذا يدور بذهنى الآن .. أكلتك الوظيفة يا حضرة النائب والإجابة جاهزة )) .

ج : أجل ..

س : ماذا كانت كلمة أمس ؟

ج : طقسة !

انتهى استجواب القيامة .. وخرج من بين عمال الشركة الذين تجمعوا عند بوابة المركز ومعهم الطلبة والمدرسون .. المهندسون يحاولون أن يصرفوا العمال الى ورشهم .. الأصوات تتعالى وتتداخل وتتصايح .. الكثيرون يلتفون حوله .. يسألونه .. يقتلونه ! لا يجب .. والأسئلة تتهاوى ولا يشفع أمامها تعب الرأس .

س : هل كان متعجلا الى هذه الدرجة ؟

س : ألم يكن قادرا على توقيفه بالسلاح وسحبته الى القيادة ؟

س : وهل كان الثانى حمارا لا يعرف كلمة السر ؟

س : سر ايه ومصيبة ايه .. احنا فى ايه والا فى ايه ! ؟ .

واهتزا الأوتوبيس بالتوقف .. لم يصعد أحد ولم يهبط أحد .. انه الوحيد الواقف .. لو نظر اليه الجالسون لوجدوه مشبوحا ينقصه فقط جلاد خلفه !

س : ماذا تعرف عن القليل ؟

ج : خارج العمل لا أعرف شيئا .. فى عمله عادى .. صالح وطيب .. لكنه كثيرا ما كان يبدو غير مفهوم .. كان يقول كلاما متزنا قبل الحرب .. كان ساخطا !!

س : بماذا تعمل ذلك ؟

ج : بماذا تعمل أنت ! ؟ .. آسف جدا

س : .....

ج : كان مؤمنا لدرجة عالية .. يقال انه من اتباع احدى الطرق الصوفية .. كثيرون يقولون ان له نشاطا كبيرا في الحى في الأعمال الحيرية . لكن ..

س : لماذا ؟

ج : يبدو انه قد جذب تماما !

س : هل لديك اقوال اخرى ؟

ج : لا ... »

لماذا لا تتكلم هؤلاء الناس ؟

لماذا لا يقولون شيئا عن الحركة ؟

الليست لديهم اقوال ايضا ؟ ايكون كل شيء قد انتهى وهو في التحقيق ؟ هل هناك بيانات اذيعت ؟ ولماذا لا يهتز الأوتوبيس الا في المحطة وهو يعرف محطات الشارع .. هذا الشارع بالذات الذى لا ترحمه جراجات البلدة المشبوهة ! ثم كم الساعة الآن ؟ لينظر الى ساعة هذا الرجل الجالس امامه تحت عينيه .. الثانية عشرة .. فجأة غنى راديو السائق .. « وطنى احببتك يا وطنى » .

لم تكتمل الاعنية ! .. دقت الساعة في الراديو .. لماذا دقت الساعة الآن ؟ .. نقدم اليكم موجز الأنباء .. لكن السائق يحول بالأسر .. ارفع من بين الركاب صوت يطلب من السائق ان يدع الموجه .. ها قد تكلموا أخيرا .. لكن السائق قال :

— لا جديد .. ساعات الأسس .

جاء صوت المحطة التى رسى فوقها المؤشر .. صوت يشحن .. محسن بالشحن ..

« انا النيل مقبرة للغداة .. »

« انا الشعب نار تبيد الطفافة »

الدموع تكاد تفجر قنواتها .. محسن يجاهد ليسد الطرق ..

« انا الموت في كل شبر اذا »

« عدوك يا مصر لاحت خطاه »

انه صوت المطربة الاسيان ، المشجون بالشحن والعلية معا ..

« اين هو مدرس اللغة العربية الآن .. ؟ ماذا فعلت به الحياة ؟ »

عام ١٩٥٦ والعدوان الثلاثى والعاشرة من العمر والرابعة الابتدائية !

هل فعلا انقضت عشر سنوات .. اين انت يا استاذ .. أه — اسمك يا استاذ .. حسان .. أجل .. تذكرته .. وهل نسيت ؟ انما هي عشر سنوات يا استاذى الرائع .. شاخ تلميذك وهو بعد صبي .. صدقنى يا استاذ لم تفارقنى صورتك قط .. اراك الآن تجرى صورتك جوار الأوتوبيس وتطل على من النافذة .. قصيرا سمينا .. اصلع الرأس متهدل لحم الوجه ملفود العنق وطيبا .. كم ضربتنا بالجلدة المزوجة وكم احببتنا .. جميعا احببتنا .. عندما كنت تأتى الينا بالأوراق المهمة في الطرقات .. أوراق الفول والطعمية والجبن والزيتون .. أوراق طعامك .. وتقول لنا انظروا ما بها .. ويتحسر وجهك .. تتألم

عيناك وبطل منهما الأسف والوداعة معا .. لكنك كنت تشهد  
ما كتب بالورق بصوت عميق ، تاريخي ، أصيل ..

« دع سمائي فسمائي محرقة » .

« دع قناتي فمياهي مفرقة » .

« هذه أرضي أنا .. » .

وتدموس على الحروف يا أستاذ حسان .. تترك على كل  
حرف بصمة حبك وشجاعتك وربما أسفك أيضا ..

« وأبي ضحى هنا .. »

« وأبي قبال لنا .. »

« مزقوا أعداءنا .. »

لكن أبي ما يزال يقرأ عديّة ياسين على أعدائه يا أستاذ  
حسان ! .. يقول لي لقد ولي زمن الجبروت .. القرية والشار ومون  
أسرته .. لم يبق غير أخوته البنات وقفت له القرية كلها  
بالبنادق .. ترك أرضه يا أستاذ حسان .. الزمن طويل حقيقة ..  
آه .. فلابتسم باصقا على هذا الزمن .. لو نظر إلى الركاب  
لابتسموا من بسمة المجلود هذه .. طلبت أن يحفظ كل منا  
نشيدا .. أكدت طلبك بجلدتك .. ما أعظم سداجتك يا سيدي !  
وحفظت أنا « النيل مقبرة للغزاة » مع مجموعة من الزملاء ..  
حفظت كل مجموعة نشيدا .. حفظنا جميعا « الله أكبر » .. أبي  
أيضا يعرف أن الله أكبر لذلك يقرأ عديّة ياسين ! .. زلزلنا  
أرض الطابور .. حولنا درس المطالعة إلى مظاهرة .. وحفظنا كل  
الأناشيد من فرط ترديدنا .. معذرة يا سيدي الطيب نسيت  
الأناشيد لكني ظلت أحفظ أنا النيل مقبرة للغزاة .. أحب النشيد

وأحبك .. أحب وطني .. لكن لماذا .. ؟ .. لماذا لا يحبنا  
الوطن يا أستاذي ! ؟ معذرة أستاذي لست أنا الذي أسأل ..  
وتتري الذكريات على رأس محسن والأنوبوس لم يعد يتوقف  
كأنما عرف طريقة أخيرا ويريد الوصول إلى نهايته بأي ثمن ..  
وصوت المطربة المشحون بالحزن يلف روحه عذبا شجيا .. ويرى  
نفسه وقد صنع قلبا من القطن ونقدم إترابه الصفار في مظاهرة  
جلوة يهتف ويرددون خلفه « أيدن أهد » ويبتسم محسن ..  
ويعتذر لأستاذه عن الابتسام « أنا مازلت جادا كما أردتني  
لكن .. » ويذكر أن كل أبناء الشوارع صنعوا كلابا من القطن  
والنشر وهتفوا « أيدن أهد » يتحسر محسن على زمن الجسارة ..  
المرأة .. وينهض الرجل الجالس أمامه من مقعده ثم يجلس من  
جديد .. يسأل محسن نفسه لماذا فعل الرجل ذلك .. يكاد  
رتعد .. ويرتد من جديد إلى الوراء .. عندما كان يقف جوار  
رجال الجيش والحرس الوطني يتفرج على طلقات المدافع وهي  
تنطلق من فوق أسقف المنازل حمما طائرة .. كيف كان يرقص  
مع إترابه مع اندفاع الطلقات .. عندما كانت تختفي طائرات  
الأعداء فوق السحب كانوا يصرخون .. « حتظهر .. تراهن ..  
حتقع » يهللون عندما تظهر .. وتسقط الطائرة .. كل طائرة  
راوها سقطت .. يجرون إلى كل ناحية ويعودون « يا عم  
تلاقيها وقعت بعيد في آخر الدنيا » .. وجعلوا من الحرب لعبة  
بينهم .. قسموا أنفسهم فريقين .. فريق الانجليز ، وفريق  
المصريين .. رفض أولاد فريق الانجليز أن يكونوا انجليزا ..  
اتفقوا حلا للنزاع أن يكون كل فريق للانجليز يوما وللمصريين  
يوما آخر .. كانوا يقفون صفين متقابلين على مسافة معقولة ..  
رشقون بعضهم بالأحجار .. كان فريق المصري دائما ينتصر

ويترك اصابات في فريق الانجليز .. يوما كاد فريق الانجليز ينتصر وهزموه بعد لاي شديد .. هجم المصريون يومها دون حجارة ولم يبالوا وامسكوا افراد فريق الانجليز واوقعوهم ارضا واثخنوهم ضربا .. « آه .. من لى بزمى الجسارة .. البراءة » قال واحد من فريق المصريين بعد المعركة .. « نتفق غدا ان يتراخى فريق الانجليز لتغلبهم بسهولة ! » نهروه .. قال محسن « لازم نطلب الانجليز والفرنسيين وبن جوريون حتى لو جابوا الدنيا معهم » وكان الذين نهروا صاحب الاقتراح هم فريق الانجليز بالأسس .. بعد ايام لم يبق فيهم واحد خال من الاصابة .. ادرك الأهالى سر الاصابات ومغبة تلك اللعبة السخيفة !! ضربوهم ونهوه عنها .. « الأهالى دائما .. الكبار دائما يا استاذى » واعتدل محسن في وقفته اذ لم بعد يشعر بالوهن .. ترك عينيه تنظران من خلال النافذة لكنه كان ما يزال في عالمه السعيد .. وتذكر اكبر غارة حدثت فوق الاسكندرية .. تلك التى قالوا فى الصباح عنها انها حطمت حى المنشية والبوستان .. تذكر الليل والفوانيس المعلقة فى السماء وصوت طلقات المدافع وصورتها وهى تطير الى السماء فى شريط متواصل من الحمم الحمراء .. حين كان أبوه جالسا على عتبة باب المنزل يرتل القرآن .. وحين سقطت قنبلة بعيدا لكنها كانت من العنف حتى لكادت تخليع المنازل خلعاً عن الأرض .. لاحظتها احتضنه أبوه وحمل يرتل « قل هو الله أحد .. الله الصمد » .. « يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على

صراط مستقيم .. تنزيل العزيز الحكيم لتندّر قوما ما أندّر أبائهم فهم غافلون » .. تذكر كيف حفظ نصف القرآن من ترديد والده .. وتعجب كيف لم يحفظ أبوه نشيدا واحدا .. لكنه على كل حال يحب أباه .. ويهتز الأتوبوس ويتوقف .. هدى هى محطة المكس آخر المحطات .. لماذا لا يريد هؤلاء الركاب ان يهبطوا ؟ .. لم يشأ ان يشغل نفسه فهنا لابد ان يهبط ويأخذ طريقه الى منزله .. أصبحت قوته الآن قادرة على النوم ! ، وهو بالفعل يحتاج ان ينام .. على الأقل من أجل الايام القادمة .. !

وفي مكان آخر يسأل عامل .

— لماذا تكثر الاذاعة من القرآن ؟

ولا يرد عليه أحد فيرى بالورشة مرادق حذاء ويكاد يطفىء  
سيجارته احتراماً للميت والرهبة ثم يتنبه فسحب نفساً طويلاً !

وعامل يقول في حيرة :

— لقد تغيرت الأغاني .. بعد « راجعين بقوة السلاح » ،  
« واضرب » ، نسمع الآن « يا أغلى اسم في الوجود يا مصر » ..  
مناحة هي أم حرب ؟

— لابد أن القتيل كان حزيناً ..

— يقولون أنه طيب يعرف الله ..

ويتحول عامل بالحديث ..

— لكن نحتي الآن يحدث ما يشير الحزن ..

— هل تنتظر من تدخل الدول الكبرى خيراً .. أمريكا  
يا عرب ! — ويضحك في مرارة — أكاذيب — وبعض على  
تواجذه — تكشفها حقائق ..

ويظل الصمت عليهم .. تغلف الوعي الكآبة .. إسرفوا  
على أنفسهم وعلى الوطن ؟ .. لكن ..

العمل أصبح الآن مضجراً .. كل عامل يشعر أن هناك  
ذراعاً شيطانية ممتدة في الهواء تترصد به .. أن سقف الورشة  
ينهار عليهم .. يودون لو يصرعون إلى سيناء .. الصحراء ..

— ٢ —

ظلت الأحاديث تطير بين العمال داخل الورش .. نسي الذين  
أحضروا أجهزة الراديو معهم أن يسمعوها .. غطى الحادث  
الصغير المفاجيء على الوضع في سيناء ! أصبح أكثر العمال  
يتوقفون عن العمل فجأة .. يسأل العامل زميله ..

— لكن كيف نسي كلمة سر الليل ؟

— قدره .. الجو مكهرب .. أحوال الجيش لا تسر ..

ويتعجب العامل الذي سأل كيف أنه عندما توقف عن  
العمل ليسأل وجد زميله متوقفاً أيضاً ليحجب !

— هل كان الجندي مسرعاً إلى هذه الدرجة ؟

ثم يرد على نفسه :

— .. لو كنت مكانه ما فعلت غير ذلك .. سنقتل بعضنا  
بعضاً ! ..

ثم يدهش لأنه لا يسمع صوت الماكينات الصاخبة رغم  
أنه كان يسمعه كل يوم ، ورغم أن الماكينات تدور أمامه ومن  
حوله .. يكتشف نفسه ميتاً .. يوقف آلتها ويديرها من جديد  
ليصدق أنه موجود .

لو يرون بأعينهم حتى لو ماتوا .. الموت هنا بطيء ورخيص  
ومجاني ..

\*\*\*

في منطقة « القزق (\*) » الصغير « حيث تبني السفن الصغيرة  
كتب عامل صغير .. أصغر العمال سنا بالقلم الكويبا على  
ورقة اختارها نظيفة .

السيد المهندس مدير منطقة القزق

تحية وبعد ؟

نتقدم اليك نحن عمال القزق الذين نحب عملنا جدا والذين  
أيضا نحب الشركة ونحب الوطن ، نطلب منكم تأكيدا ودعمنا  
لدوركم العظيم في الحفاظ على الأمن والنظام وسير العمل أن  
تشاركوا سيادتكم في عبء الدفاع المدني ، خاصة وأن القيادة  
الحالية متراخية كما هو واضح من مقتل أحد الزملاء ، ونظرا  
إلى أنه لا سبيل إلى إصلاح هذه القيادة إلا بقيادة بديلة حازمة  
كقيادتكم . وتأكد يا سيدي أننا في غيابكم سنعمل بنفس النظام  
والحرص اللذين نعمل بهما في حضوركم وأذكر دائما أننا لا نفعل  
ذلك ، ولا نطلبه ، إلا لأننا نحب عملنا ونحب الشركة ونحب  
الوطن . نرجو يا سيدي أن تسارعوا في هذه المهمة التي ستفدنا  
وتفيد الوطن !!

عمال منطقة القزق

(\*) « القزق » اسم المكان الذي تبني فوقه السفن وهو عادة مستطيل  
منحدر من الخرسانة المسلحة يتجه في انحداره إلى الماء الذي تفصله عن  
بوابة ضخمة تفتح عند التدشين .

وجعل يتغز من أعنى السفينة إلى أسفلها وبالعكس وداخل  
حوفها يجمع التوقيعات بين ضحكات العمال ولكزانهم وعندما  
اكتتمت التوقيعات أسرع إلى مكتب مدير المنطقة . ولكنه في  
مستط الطريق جلس على الأرض وجعل يبكي ..

\*\*\*

في الورشة الرئيسية حيث المكان متسع للحركة كان هناك  
من يأتي لزميله من الخلف صارخا « أثبت محلث » ولكن الآخر  
يستدير إليه فيعتذر الأول ويربت على كتفه ..

\*\*\*

فوق السفينة الكبرى ، التي تبني فوق « القزق » الكبير ..  
تلك التي ينتظر العمال تدشينها أملا بالعرق والدم .. والتي  
أصبحت حديث المنطقة المجاورة للشركة حتى أصبحت كلمة  
« تدشين » راسخة تتردد في أحاديث السكان دائما . فوق هذه  
السفينة كان بعض العمال يتطلع إلى البحر والأفق . البعض  
يقوم بأعمال اللحام على الجوانب وداخل الغرف الضيقة  
بحرفها .. وكانت رافعتان جبارتان تتحركان على الجانبين تحملان  
قطعة ضخمة تشكل مقدمة السفينة لوضعها في مكانها فوق  
القزق حيث يتم بعد ذلك وصلها ببقية البدن بلحام قوى ..  
أن وضع المقدمة يعرفه العمال بأنه المرحلة الأخيرة في البناء .  
لا يبقى بعده إلا العمليات النهائية مثل الدهان وتركيب الدفة  
ثم وضع الشحم الذي ستنزلق فوقه السفينة . ثم يكون الإعلان  
عن يوم التدشين في الجرائد اليومية .

قال عامل من الواقفين فوق سطح السفينة لزميله :

— من هنا ، من وراء هذه الأفق يأتي الشر . تعبر البحر  
تحد نفسك في إسرائيل ، لكن كيف ؟



قال زميله :

— حتى الآن لم يزع بيان .. لقد شغلنا الفتيل .

— الساعة تدخل في الواحدة . علنا نسمع شيئا بيباء  
الواحدة والنصف .

وما كاد يقول ذلك حتى حطمت الكون قبضة خراعية .  
كان براكين منسية تفجرت فجأة بعد كمون طويل حول ووسط  
الشركة .. كان جبلا صخرية كانت معلقة في الهواء وسقطت  
فجأة فوق الورش . كان البحر المردوم بالتراب استيقظ فجأة  
من غفلته وزلزل أرض الشركة ليسترد أرضه المقتصبة !

انفجار .. انفجاران .. ثلاثة انفجارات .. انفجارات  
متوالية .. تخلصت الأجزاء المجمععة من السفينة وانتفضت ..  
انبعثت المؤخرة وتطايرت أجزاؤها .. تمزقت سلاسل الرافعتين  
المعدنية الغليظة فسقطت المقدمة في غير موضعها مدوية فوق  
الأرض الخرسانية .. تطايرت جزوع الشجر الضخمة التي كانت  
تقوم بدور الدعامات التي تسند بدن السفينة من الجانبين ..  
انفجرت عربا التدشين أسفل أجزاء السفينة فهوى البدن فوق  
أرض القرق المسلحة أجزاء منفصلة ومتطايرة .. انفجرت  
البوابة الضخمة التي تحجز الماء عن القرق نفسه ففزا البحر  
كل شيء .. ورغم ذلك كانت النيران ترتفع فوق الماء في كل  
موضع . وشوهدت شظايا ألواح من الصاج ، طائرة منتعلة  
في الهواء تطيح بما يعترضها لتسقط في أماكن متفرقة محدنة  
خسارات في الأرواح والأشياء .. أحس الذين كانوا فوق السطح  
أن طاقة سفلة شيطانية طيرتهم في الهواء فهووا إلى البحر بعيدا  
بعشرات الأمتار حرقى وموتى وفاقدى الوعي .. طارد القرق  
أولئك الذين كانوا يسيرون بالقرب من السفينة ينقلون أعداد

والأدوات فجروا مصابين صارخين والنار مشتعلة بأكثرهم .  
لم يكونوا يعرفون لماذا يجرون أو إلى أين ؟ في الوقت الذي  
سقط الذين لم يصابوا على الأرض وتقلبوا مرة أو مرتين  
أو كفوا خالدين !

لم يفكر أحد من الورش فيما يمكن أن يكون قد حدث ..  
كانت الانفجارات عنيفة حتى لسمعتها الشركة جميعها والشوارع  
والمنازل في الأحياء المجاورة .. كان الجميع يجرون من كل  
الورش صوب السفينة .. لم يكن صوت الانفجارات موجههم ،  
إنما هو إحساس قديم غرسته الأيام السابقة .. وصار الدخان  
يعطى مباحات واسعة وعالية في الفضاء ولا يترك متنفسا  
لصرخات الجرحى ، ولم يكن في الحسبان ، أنين الموتى في الغرف  
السفلية بجوف السفينة عند هذا الدخان .. قطع عمال  
الكهرباء التيار من المحطة الرئيسية وكذلك فعل عمال الأكسجين  
والأستيلين . خاطر خاطف عبر بهم بأنهم لأول مرة يقومون  
بواجب ! رغبة دافعة استبدت بهم أن يسرعوا إلى مكان الحادث ،  
لكن كيف ؟ هم بالذات لا يستطيعون أن يتركوا عملهم .. وبصقوا  
فوق الأرض .. وأصبحت الحركة في الشركة خرافية ، لم يفكر  
أحد بأنه قد تكون هناك قنابل موقوتة .. كان البعض يقفز  
إلى البحر لينقذ الذين قذفوا إليه ، في الوقت الذي كان فيه بحارة  
السفن القريبة المرابطة في الميناء ينزلون قواربهم بسرعة فائقة  
ويتجهون بها لانتشال أولئك الذين سقطوا في الماء . وكان فريق  
آخر من العمال يجرون بخراطيم المياه يمدونها بسرعة فوق  
الأرض وبصلونها بصنابير الحريق القريبة من المكان بينما كان  
هناك من يهرولون حاملين أسطوانات كرونية للاطفاء أيضا .  
وملا الفضاء صخب عربات الأطفال بالميناء وهي تقترب من الموقع  
وأصوات عربات أخرى تشق المناطق المجاورة في اتجاههم ..

وكان بحارة المدمرات السوفيتية القريبة من الأرصفة يهرولون عراه الا من سراويل قصاة وهم يحملون اسطوانات الاطفاء بينما كان يطلق بحارة المدمرات البعيدة قواربهم كالريح في اتجاه العرقى والنيران .

- تخريب ؟

- ضفادع بشرية ؟

- انها السفينة ..

وتجرى الاقدام يدفعها كائن خرافي اسمه « الوطن » ورغبة الخلاص من تلك الظروف القاسية نسجها الأباطرة حول الانسان !

\*\*\*

كان صايغ اسبق من في المركز في الوصول الى مكان الانفجارات .. لم يكن قد غادره بعد مصرع خليل وبعد ان اخذت اقواله في الصباح .

كان قد آثر ان يظل في المركز وينام في حجرة الاسعاف حتى يأتى المساء ويجتمع الرفاق .. لقد احس بعد التحقيق انه لا يعرف مكانا يذهب اليه . تضخم العجز الى مهانة انسان يرى نفسه طريدا .. قال في نفسه انه النوم يداوينا ولو ضيع علينا الفرص المواتية .. فليكن النوم . رأى الحرائق وهى محاصرة من كل ناحية بعمال الشركة ورجال الاطفاء وبحارة السفن القريبة وحنود المدمرات السوفيتية .. لكن الحرائق ظلت في عينيه كبيرة تملأ أيام التاريخ .. رأى الجثث المشتعلة وقد لفت « بأوفرولات » العمال وينبعث منها دخان كدخان الخشب

القديم يحرق عينيه .. الجرحى المتسائلون على زملائهم يصعدونهم الى عربات الشركة وعربات الاسعاف وقد انسكبوا دما وحسرة على الخديعة والمباغثة .. كانت عيونهم تصرخ ، لو رأينا عدونا مرة ، لو عرفناه ، لأصبح للدم قيمة ولو كالماء ! رأى السفينة التى انفجرت مؤخرتها وانبعج جانبها وأصبح بدنها كله فجوات واسعة يطل منها الدخان الثقيل .. رأى كيف استقر القاع محصورا ومحسورا تحت المقدمة التى سقطت في غير موضعها وكيف أصبحت السفينة ملتوية الى أسفل ويفطى نصفها ماء البحر .. والرافعة الجبارة على الناحية اليمنى وقد انتكست ذراعها الضخمة وأرغمت رأسها في التراب .. كم أصبح شكل المكان بشعا وكم يصم بالادانة .. وانغرست أصابع صايغ في الدم وهو ينقل الجرحى .. وترت أنفه رائحة اللحم المحترق وهو ينز سائلا لزجا بينما كان ينقل الموتى .

« أهكذا في لحظة واحدة يتحول كل شيء الى رماد .. ؟ أهكذا تجهض أحلام البشر وتشتعل يا صايغ ؟ شهر واحد وكانت ستهبط الى البحر مجملة بالورود .. شهر واحد وكنت ستراهم يرمسون حولها وفوقها ويجرون معها الى الماء يودعونها بدموع تملأ البحر .. هذا أول البناء .. أو الثمرة ، والثمرة الأولى مراق الفرح الكونى .. كانوا وكانوا يا صايغ وبئس الفعل فعل كان أولى .. لماذا يضيع كل شيء وتفجع النوايا الطيبة .. ؟ ها هو جهد السنين يتبخر أمام عينيه .. ماذا سيحدث بعد ذلك ؟ .. الا يمكن ان تمتد نفس الأبدى لتفسد ما قد يبتونه من حديد ؟ وما يدريك ؟ الا يمكن ان يكون كل شيء انتهى هنا الى الأبد .. وتظل تتفرج وتنتظر الأبد يا صايغ وهو أبعد ! »

نعل صايغ أربع جثث محترقة وعشرة من الجرحى وانهار

تماما .. شوه الهياك ثيابه ووجهه وملاء أدم يديه وتناثر على أكثر من بقعة فوق الثياب وغطى الحذاء .

(( س : اسمك ..

ج : صايغ فيد الناصر ..

س : مصرى ؟ ..

وترددت لحظة .. لما ترددت قبل أن تقول فلسطينى ؟  
ذرية حياتك يا صايغ .. تحمل جواز الترحال الدائم وليست كل البلاد مفتوحة أمامك أن رصيت بالترحال ! ما أكثر الحدود التي تغلق أمامك وما أكثر الحدود التي تغلق خلفك وما أبشع الحصار ..

س : اين كنت ساعة اطلق الجندي النار ؟

ج : .....

وترددت قبل أن تقول أنك كنت قابعا في ركن الخندق المسقوف .. لماذا لم يفتالك هذا الاحساس وقتها .. تعودت على الرضا بالأركان المظلمة المسقوفة المخدقة التي تجعلك لا ترى ولا تميز شيئا .. اليس كذلك ؟ .. لا تهرب من نفسك .. تحمل جوازا وحياتك ركن واحد مظلم وكئيب ! .. هل تكذب ؟ الا يحتاجك هذا الشعور في كل مكان تحل به وانت الذي تحاول ان تنكره .. والمهم أنك تنجح في انكاره لقد عرفت نفسك كيف تقيم توازنها .. كم شعرت بأن المكان ضيق وآثك في الوقت نفسه لا تريد أن تبرحه ! وكم أنكرت ذلك ؟ لكن الحقيقة تقول أنك مختلف دائما لا يعرفك النور ولا تعرفه .. هل يجديك الآن أنك مهندس للكهرباء ، تعلمها للطلاب والظلام يحاصرك .. ملعون

أنت في الأرض الى الشمال ذهبت أو الى الجنوب .. سرفا سوحت أو غربا تسير .. تطاردك اللعنة والرضا باللعنة والسفر بلا متاع .. متاعك المتاعب يحملها اليك الآخرون ! هل تقول لا ؟ هل تستطيع .. ؟ ماذا تنتظر والموت لحظة لا يتركها التسعور والعيش هنا موت تدركه .. أهى آمال تعقدتها على جيوشك العربية وانت كسيح ؟ تحوطك المشاهد المفزعة ويحاصرك الدم وتفتالك الهواجس عن الام ونجلاء والموت في التاريخ مريح لك من عناء الفكر في الأهل . هكذا فعل الموت بابيك .. لو لم يمت أبوك لزاد قلقك .. ألم تقل ذلك لنفسك بالأمس بسرعة البرق لتقنع نفسك بأنك لا تفكر هكذا . ها هم يأتون اليك حيث ذهبت .. ان ظهرك أمامهم ، هذه هي المسألة .. فهل تنتظر ان يولوك ظهورهم وهم لم يروا وجهك حقيقة .. فلتنفص عنك سسنين التجوال العشى والغربة المهينة للنفس المخنولة .. لتضع تلك الروح الهائمة في مكانها الصحيح .. هذه أيام لهم ولن تكون عليهم وانت قعيد ..

هه . « دبرها مستر دل » (\*)

ومستر دل صار عربيا يا صايغ .

ملعونة اذن هي الذكريات اذا صارت خبزا ..

مقطوعة يمينك التي لا تقتل ..

على شاطئ مصر بكيت كثيرا .. فلا تنتظر يوما تبكى فيه

خضعة قلب العروبة النابض وملجأ الثوار !

(\*) « دبرها يا مستر دل » إحدى القصائد الشعبية للشاعر الناصرة

الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ نوح إبراهيم الذي استشهد في إحدى معارك .

نخاطب في قصائده « مستر دل » القائد المأم للعيش الانحزبي لفلسطين

مؤكدا ان الشعب هو الذي سيحل قضيتة .

ألا ترى بشاعة الخدعة في اللغة .. ثوار .. ملجأ !!  
ما أظفح القول البليغ .

فليكن أبدك من جماجم الأعداء ..

ولترفع ستارة الموت أمشاط رصاص في وجوههم .. لتترك  
هذا المكان لأهله ..

ولتكن أهلا لمكانك !

ابحث عن سفينتك التي تهدمت منذ أزمان ..

قابعة هي في كهف الغربة تنتظرك ..

دشنها . ولتعلم أن لكل نهاية بداية . !

مستر دل لم يعمل أو يدل !

لا يجرفك يا صايغ إلا الموج الناعم ..

ملعون أنت أن نسيت القدس ..

ولتغرق الصقور كبدا أن نسيت يافا والرملة ودير  
ياسين ..

— وماذا إذا بدانا من جديد .. لن يهنا شيء .. سنبنى  
السفينة يعني سنبنها .

هكذا صرخ عامل لزميل جريح .. التفت فإذا به يرى صايغ  
خائرا فوق الأرض يجاهد لينهض .

مدا اليه يده .. قال له بصوت واثق :

— متعب .. بدك .. انهض .. لا تبتئس .. انها أباد  
عظيمة رغم أي شيء .. سنبدأ من جديد .. سيصبح كل شيء

في مكانه .. من ماتوا شهداء .. من عاشوا سيتعلمون  
الا يموتوا هدرا ..

وأخذ بيده ينهضه فأحس العزم بين أصابعه .. ابتسم في  
وجهه .. ربت على كتفه وتركه .. تابعه صايغ بعينيه فوجده  
يقفز بين جموع العمال يضحك ويهز من يقابله ويهرول ينقل  
جريحا أو قتيلا الى عربات الاسعاف ويعود بسرعة لينقل ويباشر  
تحرك العربات .. سرت في صايغ موجات فرح طاغ .. أحس  
أن صوت ذلك العامل قديم قدم النسيان ! قدسى يتجلى له من  
فوق الطور .. اتصفت به الدنيا وراى طائرا محلقا فوق الأغوار ..

نظر علام الى ساعته فوجدها الثامنة والنصف .. « بنت  
الآفة انهكتني » رفع راسه من بين الجمهور الواقف تحت مظله  
الحافلات في محطة الرمل على يرصد حافلة مقبلة .. الظلمة  
تغشى كل شيء .. مصابيح السيارات القليلة السائرة على مهل ،  
زرقاء قائمة تنبعث منها الاضواء شحيحة .. « اى محطة  
الرمل ، كيف كنت في هذا الوقت من العام الماضى ؟ يونيو  
والصيف وكرنفالات الأزياء .. يونيو اللحم الريان المتفجر المتحدى  
الظمان يرفع راية التمرد والرغبة فى الاذعان فى آن ! .. اللعنة  
على الصهاينة .. على اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل ! ولماذا  
لا يلعن الله الانجليز حيث غرسوهم ؟ ولماذا لا يلعن الله الظروف  
التي جعلته يولد فى مصر ويعيش حربيين فى عشر سنوات .. فى  
الحرب الاولى هدمتهم مدرستى ، وها انا اعيش لأرى يوما تطلق  
فيها القيادة المصرية مضائق تيران . كان يمكن أن ينتهى كل شيء  
بالسياسة ! علام هذه العنجهية ؟ »

مر امامه طيف مفرى .. فتاة عارية الذراعين .. لم يباض  
ذراعها فى عينيه بالسحر كله .. وقفت قريبة منه .. برقت  
عيناه فى الضلام تمسحان جسدها من راسها حتى قدميها .

ما كادت عيناه تصلان الى قدميها حتى كانت ثيابها قد سقطت  
وأصبحت عارية امامه ووحيدة تحت المظلة حيث اختفى كل  
الواقفين .. اصطدم به ضرير يبيع الثقاب فى الوقت الذى كان  
فيه قد انامها فوق الرصيف وقفز فوقها ! .. عاد ينظر فى قرب  
الى الساعة فى معظمه .. تناثر القلق فوق وجهه .. ماذا لو لم  
تأت الحافلة ؟ ترى ماذا سيقولون عنه فى العمل وهو الذى اراد  
بإشتراكه معهم أن يمسح عن أعينهم غشاوة الفكرة القديمة  
عنه ؟ كان لابد أن يوجد فى العمل منذ ساعتين على الأقل لكن  
ما ذنبه ؟ لقد تأخر حيث كان عليه أن ينتظر انتهاء التحقيق مع  
زملائه ..

« اكان لابد أن يموت هذا الغبي اليوم ؟ » ابتسم ..  
كان خروجه متأخرا بركة ! .. كيف كان سيجدها لو لم يتأخر  
لقد تم كل شيء كأن يدا سرية تحيك الأمور ببراعة .. يقتل خليل ،  
يجدث تحقيق ، يتأخر بدافع العرف الساذج ! يركب تراما لأول  
مرة وهو الذى اشتهر بركوب التاكسيات حتى اطلقوا عليه علام  
تاكسى ! هو نفسه لا يدرك لماذا ركب الترام وكيف كان معجبا  
بحركتها البطيئة .. ويجد فى النهاية ذات الجسد المتفجر مجرم  
الاغراء .. بالكون روح جنسية توحد الرغبات المحبطة .. أجل  
لابد من ذلك .. ورقصت العيون وهي تصطدم ببعضها رقصة  
حذر وانباء معا ! وقال رجل :

.. لم يدع بيان حتى الآن .. مازلنا نسمع بيانات الأيسر ..  
ارتفع هدبه الأيسر مائلا نحو الباب اشارة هبوط .. هذا  
الجسد لا يحتاج الى مقدمات .. أمر مباشر .. انه جسد  
التحدى الفاجر والدعوة السهلة المستترة بالتلمظ فى انتظار  
الأمر !

ما أجمل المرأة الطيبة .. أخفضت رأسها .. ابتسبت  
انتسامة الرضا وهي تنظر الى قدميها في خجل مشجع !

قال آخر :

- لا بد ان في الأمر عثره .. السائر ربنا ..

احتج ثالث :

- لا .. اليهودي جبان .. وأمريكا لن تفعل شيئا لهم ..  
هناك سلاح البترول ..

ورابع احتج عليه من طريق آخر ..

- العرب لا يتفقون على شيء .. ماذا يريدون منا ؟ لقد  
ضاع عمرنا عليهم ..

« لكننا نتفق ، اليس كذلك ؟ هل يعجبك هذا اللغو ؟ »  
واشارة ثانية بالرأس كله ، اشار واضحة ترفض الرفض  
أو النزوع الى أي تكتيك أحق .

وقال عجوز بحكمة محبطة :

- قال سعد .. العرب صفر .. ومصر صفر !

وهتفت امرأة من قلبها :

- ربنا مع أولادنا .. اذكروا ربنا ..

وانشغل الركاب جميعا بدعوات غير واضحة ..

توقفت الترام ، فاتجه نحو الباب الأمامي .. هبط ومبطلت  
هي من الباب الخلفي ..

استمرت الترام في طريقها الى المنشية . مال هو الى شارع

الخدوي مخلفا تقاطع البورصة وراءه .. جعل يتمهل في الخطو  
حتى حاذته .. لما سبقته بخطوتين همس ..

- مهلا ..

وفي لمحة كان الى جانبها .. نظرت اليه بجانب عينها  
اليمنى وابتسمت .. انقذت يده من جانبه لتمتد الى صدرها  
لكنه أوقفها في الهواء وهتف مشيرا بها « تاكسي » بينما فزعت  
هي ثم تهتكت في الضحك . تسمر التاكسي في الأرض فجذبها من  
ذراعها وأسرع بها اليه .

وتسارع الواقفون تحت المظلة الى الحافلة التي وصلت  
متباطئة كعجوز . ما رقم هذه الحافلة ؟ لماذا لا تتحرك الفتاة  
اليها ؟ نظر اليها فتراجعت واستندت الى جدار المظلة .. خطا  
خطوتين الى اليمين .. حملق في رقم الحافلة .. انها رقم ( ٢ ) ..  
ليست اذن حافله .. وهي لم تصعد ، اذن حافله حافلتها  
ايضا . قد تكون في انتظار حافلة العجمي ؟ لا بالتأكيد لا . فهي  
وحيدة والعجمي شاطيء لا يعرف الوحدة .. آه .. هذا وجه  
مليح لو رآه شاطيء العجمي لانتقل اليه ! .. لكن .. لا أريد ان  
اكون مثل محسن أو أنور اغرق نفسي في تحليل كل شيء ..  
أمامنا دقائق يا بنت الحلال .. استند بظهره الى جدار المظلة  
مثلا .. تبت نظره فوقها .. لم تهتم به .. تركت عيناه  
ذراعيها واستقرتا على صدرها .. جعلت عيناه تهبطان حتى  
اول الجوب القصير في خط مستقيم واحد ثم تتولى كل عين  
ساقا ! لكنها ما تزال لا تهتم به .. أين أنت سيده الصباح ..  
كانت مطوامة .. ما أطيب المرأة الطيبة . سأل سائق التاكسي  
الى أين ؟

- سيدي بشر ..

وكأنما للاغ السائق صرخ :

— سيدى بشر ! لماذا لم تقل قبل أن تركب ؟  
« أننى لم أركب بعد ! » ونظر إليها باسماء « وهل لابد  
أن أقول قبل ذلك أيها الأحق » .

— لا تتضايق .. سأعوضك عن الطريق .. اعصابك  
مرهقة ؟

قال السائق ساخطا :

— طبعاً يا محترم .. أنا تائه .. الجيش يا أخ  
الجيش تاه ..

« أى حصار غيبى هذا » قال ممتعضا :

ربنا موجود ..

انطلق السائق غاضبا بالسيارة .. ظل صامتا جوار المرأة  
وظلت صامتا .. بعد فترة قال السائق :

— لكن سنهزمهم .. قلبى يحدثنى بذلك .. فى عام ١٩٥٦  
حاربنا ثلاث دول .. أمريكا لا يمكن أن تدخل المعركة ..  
الروس لا يسمحون بذلك ..

رد باقتضاب :

— طبعاً ..

— أنا فى عام ٥٦ كنت فى سيناء .. صدر لنا أمر الانسحاب  
فرجعت مشيا فى اثنين وعشرين يوما .. كان بودى أن أقتل منهم  
مئة ولكن الحظ خائن ، الانسحاب يا أخ ! هذه المرة سيقتل  
أخوتنا نصفهم .. لا انسحاب هذه المرة يا محترم .. لا انسحاب ..  
كان قد التفت إليها وترك السائق يتحدث فوجدتها اغمضت

عينها وتركت صدرها يعلو وينخفض .. امتدت يده لكنه  
أدخلها فى جيب قميصه يخرج بها علبة سجائره .. أشعل سيجارة  
وقدمها للسائق عله يتلهم بها عنه لكن السيجارة فيما يبدو  
فعلت فعلها فانطلق السائق يتحدث عن تجربة ١٩٥٦ كلها ..  
جرعه وعطشه .. كرم البدو وغدر البدو .. السلاح والرمال  
دورم الأقدام .. وعلام يكاد ينفجر ويود لو يقفز من النافذة ..  
ولم ينقذه الا وصول التاكسى الى طريق الكورنيش فوجد فرصة  
أن يرسل بصره عبر سطح المياه الساكن والممتد الى ما لا نهاية ..  
وكان اندفاع السيارة فوق الكورنيش فرصة كى ينتعش  
السائق بالهواء ، فأسلم نفسه لذلك وكف عن الحديث بينما  
ظل هلام مسرحا بصره عبر البحر وفوق المياه وبطول الطريق  
تعمد أمامه صورة المرأة التى الى جانبه نائمة مغمضة العينين  
يتكلم صدرها ! ثم رأى نفسه يدخل بها الشاليه فى أرض  
البنات .. لا يوجد أحد بالشاليهات المجاورة « هذه فائدة  
الحرب » وهجم عليها جائعا ففرت من أمامه وهى تتأود قائلة :

— مهىلا ..

لكنه انقض فوقعها فسقطت ملأعتها واستوت أمامه بيضاء  
الذراعين مبهرة البياض يكشف طوق جلبابها الأملس نصفى ثديها  
وأخدودها المحاصر ! أضاءت الدنيا فى عينيه وبرقت برقاً  
طويلاً ساطعاً فاشتعل جسده وصعدت النار الى رأسه وأحس  
أن تياراً هوائياً ساخناً يدور فى أحشائه يجفف حلقه فأطلق  
فمه يقبلها فى كتفها العاريتين ووجهها ثم احتضنها بقوة ..  
وتوقفت أمامه حافلة أخرى أسرعت إليها الفتاة .. ازدحمت  
الحافلة وكانت رقم ( ١ ) .. هى أذن حافله .. أتجه الى الباب  
الخلفى حيث صعدت .. وكانت واقفة وسط الزحام فى ضيق  
« العربة ممتلئة وكل شئ فى صالحك اليوم منذ الصباح .. كانت

المحطة خالية أو تكاد وفجأة امتلات كأن الركاب عفاريت خفة  
وهذا ما تريد « استقر بعيد عنها قليلا يفصلهما راكبان . جاء  
صوت المحصل يأمر الركاب بالتحرك الى الداخل قليلا .. وكان  
صوت المحصل باب الولوج الى النقاش فدخله الجميع . » حديث  
الصباح وحديث المساء وحديث الدفاع المدني وحديث "إداعة  
وحديث الرئيس وحديث البخاري ! .. يا أهل الله ماذا تعملون  
بنا ! » . الأجساد تنبجج وتنحسر تحت تأثير اهتزاز الحافلة عند  
الدوران في المنعطفات .. والحافلة مظلمة تسير متباطئة ، ويبدو  
أن الظلام كان مغيظا لأحد الركاب فهتف :

— اللعنة عليهم .. جعلوا الدنيا ظلاما في وجوهنا .. متى  
سننتهي منهم ؟

— ربك كبير .. غدا نزور تل أبيب ..

— اسمعت البيانات الأخيرة ... ؟

— جيشنا انسحب الى خط الدفاع الثاني ..

« سائق الضحى المعتوه ! كل واحد هنا سائق الضحى » .

انسحب قليلا من مكانه .. تحرك ودار حتى صار خلفها  
تماما .. أمسك بيديه في العמוד المعدني الممتد أسفل سقف  
الحافلة ..

— يا محترم قل شيئا آخر ..

— أجل .. كلامه صحيح ..

هكذا قال شاب بهدوء شديد ..

— ماذا جاء بالبيانات ؟

استدارت الفتاة قليلا .. تطلعت اليه بعينيها بحق

مر .. انتفضت في ضيق كمن ينفض عن نفسه غبارا نجسا ..  
انتسم ابتسامة صفراء باهتة ..

١ - صدرت الأوامر الى قواتنا في شرم الشيخ بالانسحاب الى  
خط الدفاع الثاني . وحتى البيان الأول الذي أذيع في الساعة  
أناحدة والنصف قال أن قواتنا انسحبت الى خط الدفاع  
الثاني فعلا ..

— الا يجوز أن تكون خطة .. ؟ الحرب خدعة ..  
مر .. كر ..

« كر وفر في الحقيقة ! أجل .. الا يجوز أن تكون خطة  
علامات الضيق هذه ؟ الصيد الصعب دائما غال .. آه ..  
أين أنت سيدة الصباح ؟ ساعة أن خلعت ثيابها ووفقت كعامود  
وخام امس نسيه البشر .. عندما قالت ستقتلني .. عندما وضعت  
فيها حقدى كله .. قالت .. هل أنت شرقيان الى هذه الدرجة ؟  
هل تكره النساء ؟ قلت عابثا ، أنا أكره اليهود ! وسمع الفضاء  
فهقهت فقالت الخائبة ، كلنا تكره اليهود ، لكن كلنا نأهين في  
مصائبنا .. وعندما صرخت وأنا أعرض كتفها ودفعتنى محتجة  
قلت ما ألد لحم النساء ! امتعضت لكنها كانت ساحرة فقلت  
لا يوجد أحد بالشاليهات المجاورة ، أصرخي كما تشائين »  
وازداد ضغط الركاب فازداد ضغطه على الفتاة وهمس في  
أذنها ..

— لا مؤخدة ، الزحام شديد ..

ولم ترد .. زفرت .. « الحرب مدمرة » ، وإذا حدث شيء  
ستطيع أن أنسل من خلفها . ومن سيصدق أنه في هذه الظروف  
يسكر أحد في هذا الفعل ؟ » وازداد ضغط الركاب فازداد  
ضغطه !



- أجل قال البيان إن بعض مواقعنا اخلت من خط  
الدفاع الأول ..

- لكن السبب كما قيل تجميع للقوات .. عملية عسكرية  
ضرورية ..

- ولا تنسى أننا اسقطنا ثمانى طائرات صباحا ..

- الطائرات كلها أمريكاني .. الاسطول السادس دخل  
المعركة !

- لا .. لم يدخل .. لو حدث لقاتل البيانات ذلك ..  
هكذا قال ذلك الشاب بهدوء شديد أيضا ..

- عفى يحدثنى أنها خطة .. والله خطة .. الرئيس  
ذكى ..

- لكن البيان الأخير قال إن العدو اسقط مظاهرات في  
شرم الشيخ وناقلات جنود ..

- لو سمحت .. ؟

- متأسف .. جدا .. لكن .. الزحمة .. متأسف جدا ..

تظاهر بالابتعاد عنها ثم ما لبث أن تمسك بموقفه « طالما  
تحدثت فقد وافقت .. قليل من الصبر ويسقط المصفور ..  
ما اتعسها امرأة الصباح ! .. هذه تعطينى قيمتى .. نجاحى ..  
وهذه المرة لن يكون السائق ثرثارا وغيبا .. سيصرفون نظروهم  
عنى فى العمل عندما تحل العاشرة .. لديهم أحاديثهم التى  
لا تنتهى .. لحظة وتأتى محطة .. أهبط وستهبط .. أيام  
الحروب تكثر العزوات الجنسية .. ألم تعلمنا السينما ذلك ؟  
أغلقت الكباريات .. يا لعنة السماء ..

- نركب تاكسى ؟

- أفضل ..

- انفتح باب الشاليه وحده .. الحجرة الداخلية ..

- لديك امرأة نائمة .. ؟ أنت سافل ..

- لماذا تتشنجين .. لن أتركك .. اصبرى انها  
الخادمة ..

« لماذا تركت المرأة هناك يا علام ؟ ! »

- خادمة وعريانة ..

« قبلة عنيفة قوية تسقط قوتها وثيابها » ..

- لكن اسقطت مقاتلاتنا خمس طائرات ميراج وأنتين لم  
نسمع عن نوعهما من قبل .. نوع اسمه نيو أطلس ..

- نيو ايه يا اخويا ؟

هكذا هتفت امرأة مندهشة :

- نيو .. أطلس ..

وزامت المرأة مستنكرة ومتعجبة معا .. استدارت الفتاة  
بعنف وبكل ما تملك من قوة وغضب هائلين هوت بكفها على  
وجهه فى صفة مفرقة اهتزت لها أركان الحافلة أمام عينيه  
وصرخت :

- يا كلب يا ابن الكلب ماذا تريد أن تفعل أكثر من  
ذلك .. ؟ !

التفت الركاب جميعا الى ذلك الصوت الصاخب وتلك

الفرقة المخيفة .. اجهشت الفتاة وانطلقت في البكاء .. صار  
علام ذاهلا مبهوتا لا يلفظ بكلمة .. الجثمة المفاجأة .. لم يحس  
بالنار المتصاعدة في صدغه من اثر الصفحة .. امتدت اليه يد  
رجل يقول له بصوت خفيض ..

— تعال هنا يا استاذ .. تعال الى جانبنا ..

وسحبه من ذراعه ناحيته باتزان .. اوسع له البعض  
طريقا .. لكن الشاب الهادي الذي تكلم قليلا هاج وأرعد صارخا  
« يا نذل » وهوى على علام بكلمة شديدة ، وكأنها كانت الثقب  
الذي اندفع منه الطوفان فحطم كل الحواجز واسقط كل الجدران؛  
فما لبثت اللكمات والركلات ان تهاوت من كل ناحية وماجت  
العربة وصرخت النساء تطلب تأديب الفاجر الخائن اللي تلاقينه  
يهودى والا جاسوس ! .. تحول علام بينهم الى كرة صغيرة  
لا تخيب لكمة او ركلة ويصفونها بأبشع النعوت وتنقذ فوقها  
كل انواع البصاق ! .. والعجيب ان الحافلة الفاصة بركابها  
اتسعت لهذا كله ولم يعد احد في مكانه فحيث تقف الكرة تجد  
الركاب جميعا وراءها لكلمات وركلات .. انها لحظة فكر قصيرة  
جدا لا يدخل في حساب الزمن التي تسنح للفرد في مثل هذا  
الموقف .. وهذه اللحظة سنحت لعلام فدرك فيها انه صار جوار  
الباب الامامى رغم انه صعد من الباب الخلفى فقفز لا يعرف  
ولا يعرفون كيف .. كان هناك بالناحية التي قفز اليها رصيف  
تقف جواره بعض عربات النقل التي لم يتسع لها جراج على  
الناحية الأخرى .. وكان هناك « كوربك » مرفوعة فوقه عربة  
معطلة .. كان خلف العربات سور .. هذا السور يحد مركز  
التدريب الذي يعمل به .. بعد العربات بامtar قليلة توجد المحطة  
التي كان مقبرا ان يهبط بها !

— ٤ —

« اوتوبوس » ، « اوتوبوس » ، « اوتوبوس » .

هكذا كان الدسوقي يرجع كلمة سر الليل في نفسه .  
بعد استغز أنور عندما سألته عن الكلمة مرتين قبل أن يغادر  
المركز الى موقعه بالجراج . واستغزه أنور بدوره عندما نهره  
فأثلا عنه انه « قفل » . لكن الدسوقي بلغ استفزازه حين  
شعر في نفسه انه تحول الى قفل فعلا . بل وأحس انه ليس  
وحده في هذا التحول . كل واحد من زملائه صار « قفلا »  
والمشكلة ان احدا لا يصارح نفسه بذلك . وربما ليسوا هم  
بفعل . قد يكون الشعب كله تحول الى قفل كبير مغلق لا يفتح  
لشيء . حتى اخبار سوريا انقطعت ، وهى الشيء الوحيد الذى  
كان يفتح عليه ! .. ولما اطمان انه استظهر الكلمة ترك زملاءه  
وغادر الموقع .. بعد أن سار بضع خطوات تعجب من ان احدا  
لم يسأله الى أين ؟ لقد خرج على أوامر محسن بآلا يغادر احد  
مكانه خوفا أن يحدث له ما حدث مع خليل .. كيف لم يفتن  
زملاؤه الى ذلك وهم يرونه يتركهم ؟ انهم بالفعل اقفال مغلقة ! ..  
مر على موقع الجندي الذي قتل خليل .. لم يكن الجندي موجودا  
ولا أى من الجنود . صار الخندق فارغا .. راودته رغبة في  
أن يدخل اليه ولا يخرج ! .. ابتسم . أدرك انه لم يعد متزنا !

سأل نفسه كيف يدرك بعقله أن عقله لم يعد متزنا ؟ ضحك ..  
« تعرف يا دسوقي » . قرر أن يعود فيتجه الى منطقة القزق  
رغم معرفته بأن قوات من حرس الميناء تحاصر السفينة  
المحطمة . اطمأن على سبائره ! . هي وحدها التي ستفتح له  
الطريق .. يريد أن يشم رائحة اللحم المحترق .. رائحة  
الدم .. لقد احترقت سفينته .. أجل سفينة وحده دون  
الجميع .. أكثر من كانوا يعملون فوقها تلامذته في المركز ..  
ليس مدربا بقسم « بدن السفينة » وهل السفينة الا بدن ؟  
وهل يراها الناس بغير ذلك ؟ لا أحد يفتن الى الأجهزة والآلات  
التي في جوفها .. ولو رأوها لنفروا منها .. البدن وحده هو  
جمالها .. هناك سيشم رائحة ابدان تلامذته ودمهم .. آخر  
ما تبقى له أن يشم ! تلامذته الذين احبوه وتخرجوا على يديه  
وفي كل احتفال لتخريج دفعة منهم كان يبكي وهم يتسلمون  
شهاداتهم .. لكن ماذا سيحدث لو لم تفلح السجائر . ؟ ماذا  
يقول عن سبب حضوره الى هذا المكان ؟ قد تسمح كلمة سر  
الليل له بالمرور والعودة .. ليستظهرها جيدا .. لابد أن يجلس  
فوق حطام السفينة .. داخل حطامها حيث الرائحة لاشك  
أكثر نفاذا .. كره كلمة السر .. « الليل سر وحده يا إخوتي  
فابعدوا عن أسراركم » لكن التخلص من الكلمة يعني موته ..  
وليكن .. أفضل له أن يموت جوار السفينة .. ولكنه تذكر  
تمام فابتسم .. « لو سألوني لماذا أتيت أقول جئت أبحث عن  
تمام ولكنهم لا يعرفون تمام .. لن يدلوني عليه .. ونى  
تتركني الرائحة الامتسا » واسرع في سريه الى البوابة الرئيسية  
التي منها سينطلق الى حطام السفينة .. وحين اقترب من  
البوابة قال لنفسه « لن يسألك أحد عن شيء وربما لن تحد  
أحدا » .. وكان الظلام من حوله شديدا والأفكار تشتعل في  
رأسه متضاربة ..

\*\*\*

ترك راضى حجرة الدفاع المدنى بالادارة وصعد الى السطح ..  
وهناك في أعلى بقعة حيث تشعق في الفضاء مانعة صواعق وقف  
وسط الظلام .. أحس أنه يقف بين كتل سوداء من السحب ..  
البحر يمتد أمامه وتحت مساحات من الظلام الكثيف الغارق في  
الخوف ! السفن البعيدة تلمع ابراجها البيضاء وسط العتمة .  
لكنها مظلمة .. الشركة تمتد تحتها على الجانبين لكن عينيه  
تسمرتا فوق الكتل الصامتة السوداء لحطام السفينة .. انه  
يرى كيف تلمع خوذة رجل الحرس .. يتذكر كيف دهنوا صلعة  
رأس أحد الزملاء ذات ليلة باللون الأزرق ! .. يرى سيجارة  
مشتعلة تتحرك وسط الظلام .. قال في نفسه يبدو أن صاحبها  
خطع الخوذة ! .. سأل نفسه هل هو حزين حقا ؟ وجاءت أجابته  
لنفسه أنه فقط آسف على أنه لم يكن موجودا ساعة الانفجار ..  
انه لم يحمل قتيلا او جريحا .. لم يطفىء نارا أو ينقل غريقا ..  
أما السفينة .. وطرده كلمة الجميلة من ذهنه لكنها ألحت  
عليه ، فقد كان يعرف أنها ستنفجر منذ زمن .. منذ أعد نفسه  
للرحيل .. منذ لم يعد يشتري حلة جديدة أو يغير حذاءه هذا  
كالقيد من فرط الإصلاح والرتق .. عندما كان يرى اللحوم  
معلقة على واجهات محلات الجزارة في اليوم الأول من الأيام  
المسموح بالبيع فيها كان يقول « اللحم نزل » ويضحك  
لأن اللحم لم ينزل معدته قط .. لم يشاهد أفلاما على كثرة  
ما رأى أفيشات السينما وقرا باب أين تذهب هذا المساء ..  
لم يخرج في رحلة .. استرااليا استرااليا .. حلم الهروب  
والوجود ! لكن ما أقسى ثمن السفر .. نزهته الوحيدة أن يمشى  
على الكورنيش من الأنفوشي حتى سيدي جابر ! وكأنه يعذب  
نفسه بالمشي حتى لا يكرهه ! يكره نفسه على أن يكره كل شيء  
بسبب انفاقا .. استرااليا حلم الهروب والوجود .. لكن ما أقسى

ثم السفر .. حتى الاعداد الأولى لمجلة « الطليعة » باعيا لمحسن رغم أنه لم تعد له حاجة بها بعد أن قطع قراءته لها بعد عامها الأول .. وباعها له بنفس الثمن .. قال لنفسه أن محسن لن يقاوم فلن يساوم .. وهو غير نادم على هذا العمل الصغير .. وعندما يعود سيكون غريبا لكن من موقع أعلا .. لكن ها هو ياسف لأنه لم يكن موجودا ساعة الانفجار .. والآن لم يعد هناك مبرر لوجوده .. انتهى كل شيء .. حتى المشاركة في اللحظات الأخيرة لم تتح له .. لكن يفلقه كيف سيعلم ذلك لهم خاصة وأن محسن يتهالك ساعة بعد ساعة وتمايم لم يعد .. تمام .. آه .. وجلس راضى فوق السطح .. وضع رأسه بين ركبتيه وقرص .. السفينة ونمام خليل ترى على من الدور الليلة .. قلبه يعلن أن الليلة هي السابقة .. نهض وهبط واتجه الى التليفون .. رفع السماعة يطلب محسن .. جرس التليفون يرن على الناحية الأخرى لكن أحدا لا يجيبه .. طلب للمرة الثانية ولم يرد عليه أحد .. طلب للمرة الثالثة بعد فترة قليلة ولم يجبه أحد .. فكر أن يذهب الى المركز بنفسه .. تذكر الأوامر بالأى فادر أحد مكانه .. طلب للمرة الرابعة ولم يجبه أحد كذلك .. أحس بقلق شديد على تمام وأن استراليا بعيدة جدا أكثر مما توقع ! ..

\*\*\*

تمدد الشحات فوق سرير العيادة المجاورة لحجرة العمليات بالمركز . تمنى لو غاص فى الفراش وضاع ! لم يعد يريد أن ير شيئا .. لو ساعدته دموعه ووضعته سدا ساخنا بينه وبين الأشياء ! لقد طار اليه نيا السفينة من منزله بالأنفوشي .. طير عمال البناء الخبر فى الحى كله .. صعد به اليه البواب . ما أفظمك من بواب ! وكان يبكى .. لم ينتظر مواعده وحضر الى المركز ..

جاء يرمح كرجل شلت ساقاه سنين طويلة ثم انطلقتا فجأة .. كان جسده كله يهتز من فرط الجرى ورأسه يهتز من أشياء أخرى .. آلام أخرى .. مطارق أخرى .. عندما وصل الى المركز لم يجد شيئا يقوله .. دخل الى العيادة وتمدد فوق السرير .. « كأنه قضى علينا أن نظل قابعين نثرثر والمستقبل يتقلب امامنا الى مخاضه قبيحه » جملة وحيدة قالها بصوت غير مسموع .. ثم .. ثم .. أين تمام الآن ؟ سؤال صار معلقا فوق عنقه كالمقصلة .. وصورة السفينة .. صورة السفينة .. أنه يعرفها أكثر من غيره .. كان يمر على تلاميذه بها كل يوم وهم يقومون بتبطين جدرانها من الداخل بالعوازل .. يعرف كل غرفة فيها وكل معر .. يعرف أسماء تلاميذه ويحفظ وجوههم .. يميز أصوات ضحكاتهم .. يعرف قوتهم .. جديتهم التى اكتسبوها منه .. يعرف مشهد التدشين الذى لم يتم ويحفظ كل تفاصيله منذ ترفع الاعلام قبل الموعد بأسبوع على كل مكان فى الشركة وفوق السور .. ومنذ تنتهى آخر عمليات الطلاء .. وحتى يمك الضيف الكبير فوق المنصة بزجاجة من ماء النيل مربوطة بحبل رفيع بأحد الصواري .. وحتى ينتهى عامل القطع من فصل الاسطوانة المصمتة التى تمسك السفينة بأرضية « القزق » فتتزلق السفينة فوق الشحوم .. ويترك الضيف الكبير الزجاجة من يده لتندفع الى جسم السفينة فتتحطم .. تأخذ السفينة عمادتها من ماء النيل .. من أصالة المصريين القدماء وتشوفهم النادر .. كان مقدرا أن يكون جمال عبد الناصر هو الضيف الكبير . رمن يكون غير جمال عبد الناصر؟ لكن هل كان هذا صحيحا .. ؟ هل تحطمت السفينة لأن فى الأمر خطأ ما .. ؟ ويقفز السؤال عن تمام الى ذهنه مع كل صورة تترى عليه .. يكبر السؤال ويتمنى الشحات لو غاص فى الفراش وضاع .. يتذكر أنه ركب ثلاث ترامات حتى وصل

الى المركز . ان الركاب كانوا يتحدثون عن السفينة التي ضاعت .. يتحدثون عن البيانات العسكرية ويعودون ليتحدثوا عن السفينة .. عن الطريق التي كانت بدأت تزدان باللافتات للرئيس .. يتذكر انه كان يجرى داخل الترام ولا يجلس ! وانه عندما كان يتطلع وجوه الركاب كان يبحث عن تمام .. تمام .. انه يلح عليه كثيرا .. ولا بد يلح على الجميع .. تمام هادىء الابتسامة .. الذى ذهب منذ .. منذ .. لم يعد يعرف حساب الايام .. السنين .. لم يعد تمام وكل ما يحدث مؤامرة لنسيانه .. ويبحث عن ابتسامته الهادئة فلا يجدها ويدرك ان المؤامرة عنيفة .. يظل يكتب بأصبعه تمام .. تمام .. ويكتشف انه يكتب على الهواء .. يتمنى ان يتلعه الفراش حتى النهاية ..

كان صقر اكثر الناس احتفالا منذ شهور بتدشين السفينة .. علق كل مطالب زوجته عليها .. كان اكثر المدربين هممة في متابعة تلاميذه وهم يمدون الأسلاك الكهربائية او يقومون بتركيب الأجهزة . وها هو يجلس الآن في حجرة الدفاع المدنى بالمركز ومعه محسن وانور ووفى صامتين .. يفكر صقر كيف انه لم يسمع صوت الانفجار ولا زوجته رغم انهما يقطنان جوار الشركة تماما . كيف انه لم يدرك ان المنزل اهتز بعنف من اثر الانفجارات .. كيف لم يعرف بالانفجار الا عندما حضر الى المركز في مواعده ومن زملائه .. صقر يدرك انه صار أخيرا خارج الدنيا .. ينظر الى وفا ببلاهة فيجده ينظر اليه نفس نظرتة ..

يقول صايغ لنفسه بعد ان حمل كرسيه الى فناء المركز وتطلع الى المنازل المواجهة وشاهد الضوء الأحمر يتسلل من وراء ستارة النافذة ، نفس النافذة التي يراها كل ليلة .. « انه كان جنديا محملا بالأسى والا لماذا كان بين الحين والحين

يرفع بندقيته يصوبها الى شيء مجهول في الفضاء ! ؟ لابد ان احساسا بالمطاردة يلاحقه .. ربما احساسه بأنه جندي وبعيد عن المعركة .. كان يحدثنى وروحه هناك .. عندما وجد فرصته كانت مواجهة عبثية الايقاع ..

س : اليس لديك تفسيراً لسلوكه ؟

ج : كان يحدثنى كثيرا عن عشرات الشباب مثله يقضون أوقاتهم في الحضرة طوال الليل .

الجندي و خليل . التقى نقر بلفز فصنعا حقيقة أوضح من خلق النهار في عمق الليل ! « ويقول صايغ لنفسه .. « اننى نشط جدا الآن .. لا يمكن ان يكون هذا نتيجة الساعات الثلاث التى نمتها بعد عودتى من مكان الانفجارات » .. ويتساءل « لماذا نسيت تمام تماما ؟ لماذا لا أذكر الا الجندي » .. ويقول صايغ لنفسه فجأة .. « لماذا لم أمنع الرجل صاحب الضوء الأحمر أو أبلغ عنه ؟ » ثم يذكر كلمة الجندي الأخيرة فيقول لنفسه وهو يتهمس « الليلة أخبرهم بقرارى » .

\*\*\*

لا يستطيع محسن ان يرى السفينة الآن .. قلبه يهفوا اليها حزينا لكن لابد ان ينتظر حتى الصباح .. لكنه الآن لا يريد ان يمسخ لذلك الحزن الجديد ان يسيطر عليه .. لا يريد ان يعترف لنفسه انها النهاية رغم انه يعرف ذلك ويراه .. لا يريد الحسرة على تعب الجسم وكد العقل وتبخر فرصة الانجاز والمجد .. انه يبحث عن قوته المستباحة عله يستطيع ان ينفثها في كيانه من جديد .. لو ترك نفسه لكريات أيام الكفاح .. عندما كانت الأرض خرابا وعربات التراب تروم البحر .. وهو

وزملاؤه قبل أن ينتقل الى التدريب يجوسون فوق الأرض الوعرة يساهمون في صب القواعد الخرسانية .. يقيمون عليها الآلات الضخمة .. يحركون الروافع الجبارة لتهيئ بالآلات فوق القواعد .. يسهرون حتى الصباح ورجال البناء الصاعدة يهرولون في فرح بالخرسان يقيمون القزق الذي ستبنى فوقه السفينة .. الذي انفجر ! آه .. ليلالى الصيف وليالى الشتاء وقلة الخبرة والأدوات والصبر والتصميم والخبراء السوفييت والانجاز في الموعد تماما .. لو ترك ذلك كله يتساقط داخله سيتساقط .. انه بحاجة الآن أن يفكر بهدوء وها هو قبس نوراني يقفز الى روحه .. فينسى مقتل خليل وتحطم السفينة والموت المجاني على الجبهة .. انه يريد الآن أن يعرف شعوره الحقيقي نحو أنور الجالس جواره في صمت مرير .. هل أنور فعلا مشكك بيدر السموم في كلامه ؟ لماذا لا يكون هناك بعض الصدق في كلامه ؟ انه على الأقل حدد لنفسه منهجا وطريقة في التفكير .. أما هو ، محسن نفسه ، فلم يزل مشتتا .. هل يكفيه انه يحب زعيمه ويحلل خطبه ويبرر لما يحدث وارؤى المستقبل .. انه لو دقق لوجد نفسه منحازا الى أنور وهو لا يدري .. في أنور بعض الحدة يمجها الناس .. لكن متى كانت الناس تعي الظروف وطموح الشخصية الوحيدة ؟

كيف نسي محسن ذلك ؟ لو لم تنفصل الأعمال عن الأقوال فقط ! .. والدين .. آتون والاضطهاد المسيحي وآلاف المآذن ؟ ما أفدح التحدى .. لكن .. أيضا ما أفدح أن توضع الأمور في غير أماكنها .. كثيرا ما يكون الاتهام تكتة لعجز صاحب الاتهام .. والله ليس عدوا شخصيا لأنور .. لماذا لا تسمعه الناس إذن ؟ .. والانفعال والحدة هما شيمة للشعوب المتخلفة ! وأنور في قلب شعب يعش على بطنه .. وبطنه ضامرة من فرط الجوع .. وأنور يريد أن تتحرك بطن الشعب تطبق على صدره

بالعصب فينفثه بالثورة .. طريقنا طويل يا أنور .. أهلبا منطوون علمتهم الطبيعة والحكام أن الخروج عن الوادي الضيق مغامرة فاشلة حتما .. وعلمتنا أساطيرنا أن الطموح خيال .. وآلا لماذا هذه الرحلات الخيالية نحو الشمس أو العالم الغربي ! وما سر هذا الشموخ المثلث في رؤوس أهراماتنا ومسلاتنا .. اليس أشياء خياليا لاعادة التوازن الى النفس المكبوتة .. حقيقى ارتباطنا بالطين وعجز طموحنا يا أنور فمعدرة .. من لى بقلب المعادلة .. من يا أنور وانت واحد وأنا مشدود الى ما هزمنا ! معدرة يا أنور ليس لنا الا الحزن .. نحن أول شعب ولول .. أكثر ما تقوله يا أنور عن الحرب والسياسة صحيح .. لكن معدرة فأنا لا اعرف لماذا أنا منشند بعيدا عنك .. حتى الآن على الأقل .. لكن لعنك الشاطيء الذي أرسو عليه .. آه يا أنور .. لعنك الشاطيء الذي أرسو عليه رغم أن مرافقنا بعيدة .. ويشعر محسن ببعض العزم يتخلل روحه فتكيس عليها صورة تمام المفقودة .. لكن وفنا يتكلم فينقذه ..

\*\*\*

لم يسأل أنور نفسه لماذا ما يزال يحتفظ ببعض القود حتى الآن ؟ والأكثر من ذلك انه يستطيع الآن أن يتذكر صديقه القديم .. أحد رواد المعتقدات الدائمين منذ مظاهرات الطلاب بعد الحرب الثانية .. صديقه الذي أصبح الآن تاجرا له شأنه في ميدان النشئة .. صار له أعوان وتباع وفريق من المهريين يهربون البضائع من ليبيا عن طريق السلوم ومرسى مطروح فالاسكندرية .. يشعر بحنين طاغ اليه الآن .. الى زيارته .. انه الرجل الذي لقنه الدرس الأول والدرس الأخير .. مت فيه روح الثورة في البداية وروح التاجر في النهاية ! ماذا يحدث

لو ذهب اليه غدا ؟ لم يعد له مكان هنا .. ولم يعد يجديه نفعا  
العمل بتنظيمات الدولة .. بل سينفرط عقد التنظيم .. سيصبح  
حبة رمل في صحراء واسعة .. وها هو محسن ذلك « العيل »  
يولى القيادة .. ولكن هل هذا زمن الخلاف .. لقد ضاع  
الوطن .. هل يفنيه انه حذر .. لقد ضاع الوطن .. لكنه  
يرى السنين العجاف قادمة بحكومة لا تبقى ولا تذر .. انه  
بأنفعل لم يكن يحب أن تنتهى الأمور هذه النهاية .. انه وطنه ..  
سكين تدور في قلبه .. وطنه .. وطنه .. وطنه .. يا سيد  
بشارة .. هل لديك حكمة جديدة .. ؟

قال وفا باستنكار :

— مجلس الأمن ..

وكان قد أشعل الراديو ..

« ويقول نص القرار .. نظرا لأنه بالرغم من النداء الموجه  
للحكومات المعنية بالأمر باتخاذ جميع الاجراءات لوقف اطلاق  
النار ووقف جميع العمليات العسكرية فورا في الشرق الأوسط ،  
لا تزال العمليات العسكرية مستمرة في المنطقة . وخوفا من أن  
يخلق استمرار العمليات الحربية موقفا أكثر تهديدا في  
المنطقة — السخريه تقفز على شفاة الجميع — يطالب مجلس  
الأمن الحكومات المعنية بالأمر كمرحلة أولى بوقف اطلاق النار  
ووقف جميع العمليات العسكرية ابتداء من السابع من يونيو ١٩٦٧  
الساعة الحادية عشرة بتوقيت القاهرة . ويرجو مجلس الأمن  
السكرتير العام للأمم المتحدة أن يفيد بصفة عاجلة ومنظمة عن  
الموقف أولا بأول » وخرج وفا عن الانكسار الى الحيرة وقال :

— الديان لا يطالب بالعودة الى الأماكن التي كانت فيها

التخوات قبل الحرب .. انه احتلال سافر .. سندخل في  
مناهاة واسعة ..

— المندوب الأمريكى لابد صال وجال ضد قرار من النوع  
الذى تريد ..

هكذا قال صايغ وهو يشعر بأن أشياء كان ممسكا عليها  
تخرج من بين أصابعه .. ثم قال محولا الحديث وكان قد دخل  
عليهم مع كلمات بيان مجلس الأمن .

— هل سمعتم من توزيع البنادق على الشباب .. والفرق  
التي تأخذ أماكنها الآن على الكورنيش . هناك احتمالات أنزال  
حوى على الاسكندرية ..

وجلس وهو لا يدري ان كلامه هذا حول الجميع الى  
تمام .. لكن وفا صرخ :

— وماذا يعنى مجلس الأمن بكلمة يرجو .. سندخل في  
زمن الرجاء ..

لكن انور كان قد صار نادما لانه تذكر كيف هزا من تمام  
عندما أبدى رغبته في الذهاب من اجل السلاح فقال له  
« لو ذهبت ستعود في الحرب الرابعة اذا قامت » وراى تمام  
تائها في دهاليز معتمة تصوب اليه البنادق من كل ناحية ..  
وكان محسن قد أحرقه التوق الى تمام .. ولعن السلاح ..  
وتساءل أى أحداث قاسية أنسته صديقه القديم .. ذلك  
المعدن المريح من البشر .. المبتسم في دعتة المفلق على الآلام ..  
أما صقر فعندما تذكر تمام تذكر خليل فقال :

— الا ترون أننا نسينا خليل تماما ؟

فقال صايغ :

— أريد أن أحدثكم بشيء ..

ولم يكمل .. سد الباب جسد ضخم القى صوته الخشن  
السلام عليهم .. انه الخفير .. كان خلفه رجل غريب ..  
قال الخفير :

— هذا الرجل حضر ومعه محفظة الأستاذ علام .. يقول  
انه وجدها جواره ..

الجمتهم الدهشة .. ثم فتحت افواههم لتدع الطريق أمام  
أنفاسهم كي لا يختنقوا !! . قال الرجل الغريب :

— وجدناه غارقا في الدم ورأسه مشقوقة نصفين جوار  
احدى العربات ..

ومع كلمات الرجل وقفوا .. ومع آخر كلمة كان صقر  
فقط هو المتأخر عن اللحاق بهم .. لكنه لحق بهم .. وإلى  
هدفهم طاروا كأفراخ فزعها عقاب .. حين كانوا يقفزون الباب  
الخارجي للشركة كان تليفون الغرفة يدق وحيدا وكان على الناحية  
الأخرى راضى يموت قلقا ..

## ما لم يسمعه الركاب من علام

وهو بين ايديهم وأرجلهم  
وقبل ان يموت



يا ديدان الأرض ماذا كنتم تبغون ؟ ان آكل من عمن  
الغائط ؟ لماذا والنيا حولي مفتوحة .. أنا علام ذو الراس  
الثاقب واليد الطولى والباع الممدود ! ؟

\*\*\*

لقد صرخ أبى « ضعنا » وبكت أمى تتعلق بأذيال الغيب  
« وارباه » .. لكن الله كان بعيدا .. جالسا في قاعات الأرشيف  
سمينا ونظارته سميكة سوداء ويقول : ماذا افعل ؟ هذا حكم  
القانون ! وظل أبى يصرخ بالحق المتلوى في الاحشاء .. الغد  
بعيد .. ها قد طوفت كثيرا وما أكثر ما رايت عيننا وما سمعت  
أذننا في عمق الصحراء وفوق تلال الأحجار .. « طر » رد الكون  
على أبى وردد .. وظل يصرخ لماذا نبني مجد الغير ؟ والأجر زهيد  
والأفواه غبية والعمر قصير ومات فلم يعد في العمر بقية ..

\*\*\*

ابواب الرزق اتسعت كالومس .. هذا مشروع للغد وتلك  
صناعة من أجل الأجيال .. ان ارضى ففي الأمر سلاحة اذ لماذا  
أبدا من حيث بدأ أبى الاحمق ؟ والغير لا يرضى .. من يبني  
المشروع لا يرضى لا يصرف معنى الفساد ولا المستقبل  
ولا الأجيال .. لم أدرك شيئا قبل الثورة .. كنت صغيرا لا أعرف  
الا الأكل ولعب النحلة والبلى فوق الطين .. ومن يبني المشروع  
لا يعرف كلمة ثورة فلماذا تسألوننى .. تجار الأنفاس هم  
الأبرار هكذا علمنى السيد المسئول .. تعطينا ونعطيك والأنفاس

فقط عمياء ولن يفتح احد عينا عمياء ! خفت مرة واحدة فقالوا  
انا نتوسم فيك الخير .. نتسلم وتوقع والليل يراح يجمعنا  
والنهار غباء مطلق فلمعت في عيني أفراص شمس تغرى وتلألا ..

\*\*\*

هيا .. هيا .. لا اسنطيع ان اضحك ولا يراني احد  
ابنسم .. أين انت يا ابى مطوف المحاجر والوديان .. ها هو علام  
لم يتشرد أو يتغرى .. يدخل صالونات رجة .. ليل في  
الكيت كات والثاني في المونت كارلو والثالث في الروترفو والرابع  
في فندق فلسطين ! تصور ! ؟ والخامس في البلاى بوى والسادس  
في مكسيم ورتاح السابع مثل الله . لكن تأتية العاهرات حتى  
المنزل .. وان أفلس يوما لأن سيد الأنفار في ريفيرا الطليان  
يمضى الليل فقيرا في اتينيوس الحزين !

\*\*\*

قال الحق في عيونكم أرجع يا علام .. يلقونك لقمة سهلة  
في يد القانون .. هم اصحابه .. سدنته .. تجاره .. وما انت  
الا امة مفتون .. ها ها .. الله .. لا اسنطيع ان اضحك ..  
اكان لابد ان اهتف بكم يا غباء التاريخ المتراكم .. الاممة من يظل  
ينتظر السلوان .. من يبحث في الظلمة عن ليلة قدر ..  
ما اشرف كلمة لص وسادن ! سادة الجيش سادة الخرسان  
والآلات يحققون النصر دائما على الأنفار ؟ قالوا منذ البداية  
سناخذ وسنعطيك فلم الخوف ؟ .. ولم الحق والامر  
نهار .. ؟ دعونى من ليل امانيكم وكوايس احلام اليقظة .. !

\*\*\*

من منكم يرفض ان يفعل مثلى .. قولوا عجز .. جبن ..  
غباء .. لكنى اسخر منكم فوق الكأس وفوق الفم وبين

الافخاخ .. ها ها .. لا اسنطيع ان اضحك .. تريدون  
اليوم تحطيم الاغلال .. دحر العدوان .. امقتكم .. ما معنى  
الدفاع المبنى الآن .. فات الوقت .. انا لص رعبد وافهم انى  
لص رعبد .. أحب ان اسرق اللصوص ولا أحب العصيان !

\*\*\*

وتضربوننى ..

ها ..

لا اسنطيع ان اضحك .. ولا اتالم ..

تضربوننى لاننى اردت ان اغزوها فى الاتوبوس .. من منكم  
لم يغزوها فى عين خياله .. با اهل اللعنة .. كلام اياكم وصور  
خادعة الاحلام .. مقطوعة ايديكم التى تلمنى وفارغة رؤوسكم  
التي لنطحنى الآن ..

\*\*\*

يا فقراء الأرض ..

يا عمالها وفلاحيهما الذين يرتفع من أجلهم العمران ..

لا عميران ..

انا موجود .. غيرى موجود مثلى ..

وانتم لا ترون .. الا ترون .. ؟ ها ها .. لا اسنطيع ان  
اضحك .. سيغزوكم العالم من كل الافطار .. وانتظروا شر  
الغزوات .. غزوتكم منكم .. انتظروا يوما تتحقق فيه نبوءة الذى  
ان يموت .. نزيل البارات .. سوط الشهوات .. أكبر من  
يستطيع ان يجوع خمر بالدن !

أنا الذي تعلمت الصديق من الأنبياء .. لصووص الحرب  
والسلام .. عاهرات الكورنيش .. قواذى الملاهى .. ستظل  
أفخاذاكم مفتوحة للطامعين .. الظالمين .. للصووص .. فرسان  
الليل المثلثين .. سدة القانون والتشريع .. زائرى الفجر  
المرعبين .. كل من يستطيع بالحق الأعوج أو بالزور أن يكون  
مقاولا للانفسار ..

هكذا أقول ..

أنا علام ذو الراس الثاقب ..

آه .. لا أستطيع أن ابتسم ..

واليد الطولى ..

أيها الدم الذى ينبثق من فمى دعنى أقول الكلمة الأخيرة ..

والباع ... الممد ... و ... د ...

التاسع

من يونيو

كيف ساد الجبهة الهدوء ! ؟

- ١ -

« اليوم يقول الرئيس بيانا فما عسى أن يقول ؟ كان أمس رهيبا فكيف يكون اليوم ؟ لقد توقف العمل بالشركة وماساة علام صارت دوارة بين الورش والمكاتب .. تتوارى أمام عمق الاحساس بالكارثة وتعود دوارة بين الورش والمكاتب ! .. ولما تزل منطقة القزق محاصرة بالجيش والبوليس وأنا هنا بينهم محاصر بالهم ! الحيرة في كل شيء واللوعة على الدول الغربية والعربية معا صاروا حديث النعمة للعاملين .. وكل شيء يتلون اليوم بلون ليس له لون ! لون محسوس يفتأ العين لكن أحدا لا يستطيع أن يحدده .. أسود ! ؟؟ ربما ، ومن نوع لم يعرفه السواد ! نحن نتساقط .. الجيش يتساقط .. الاذاعات الأجنبية تقول كلاما رهيبا والناس واجمة ساخطة مغيظة تموت .. ما هذى المحنة ؟ من لي بالقوة لأفهم وأقاوم ؟ .. من الذي يلعب ادوارها دراما الفساد والموت المجاني ؟ الجيش أم الشعب أم هي الدول الغربية أم روسيا ومن الذي أطلق يد الغرب في الشرق ؟ ما هو شرخنا لنصير كبش الفداء في آلام الكون هذه ؟ أم هو الله تخلي عنا ؟ ولماذا اذا كان فعل ! ؟ وما نتيجة هذا كله تلك التي يزعم دخانها الهواء ونتمامى عنه بأمل ضعيف غبي ؟ ومن يستطيع أن يوائم بين عبيء كبير وعبيء اكبر ؟ وأين ضاع تمام ؟ هل ضل طريقه أم تأخذ الآن طريق العودة أم لحق بخلبل وعلام

وبنا ! .. تشهد علينا آيات السماء والأرض أن كل شيء غامض غير محدد الهوية ونحن نتحدث فنموت .. نأكل الطعام زعافا وصرنا بلهاء حبالي بالهم الثقيل .. واليوم .. اليوم يقول الرئيس بيانا فما عسى أن يقول ؟ ولماذا لا نسمع أن الجيش تقدم إلى الثقب ؟ لماذا لا نسمع أن كل الأخبار التي ترددها الاذاعات الأجنبية ربما ووعم وعديد .. يا قلبى .. يا قلبى المفزوع بين الضلوع تأنيث بشاره الأيام القادمة في لحظة ضعف قاتل في رجل يدعى سندباد .. يخطو فوق الوهاد والنجد ويرقى جبال السم والعنت ويطفو فوق بحار الدم والآلام يجلب لك مندبلا معصورا بدم الأعداء معجونا بريح النصر .. أرضنا تضيق ونحن ها هنا قاعدون والسندباد لحظة ضعف قاتل .. السندباد خديعة ومؤامرة ! آه .. لحظة ضعف قاتل وخديعة ومؤامرة .. ماذا عساهم يقولون الآن وفيم يفكرون ؟ ضاع ليل أمس الأول بين البوليس والمستشفى وها نحن اليوم في الضحى وعلام لم يزل سريرا في مشرحة ينتظر العائلة .. ها نحن اليوم وقد صلبوا فيه المسيح ! جمعة حزينة أو يتيمة بها ساعة نحس أو ساعة يقبل فيها الله الدعاء من العباد ومضت على يوم الاثنين دهورا كاملة ! لا استطيع أن أتحدث اليهم بأمر .. لو نموت فجأة الآن ، حينئذ لا نحزن ولا يقتلنا هم .. ها هم جميعا حولي صورا باهتة تنتظر أن يسقط فوقها سقف الغرفة .. فيم يفكرون ؟ الجيش أم خليل أم علام أم تمام أم شعبنا الموحول .. ؟ أم تراهم يقولون من عليه الدور ؟ وأي دور بقى ؟ ابتذكرون البداية وغبطة الثقة أم يتأملون النهاية وسحق الهزيمة أم تخلف الأنصار ؟ راضى خاتمه قوته وأعصابه وانصرف من المشرحة إلى منزله كما قال .. ربما هو الآن هائم في الشوارع .. شوارع استراليا صارت بعيدة يا راضى .. صارت قريبة يا راضى بين يديك ! أكان لابد من الهزيمة كي تقترب استراليا ؟

وصايغ .. صايغ الذى عاش بيننا لا ندرك أنه فلسطينى .. ها هو يختفى فنذكر أنه لم يك مصريا ! .. قال لى لماذا كنا في حاجة الى الهزيمة لنذكر الأغوار ؟ وقال لى لماذا كنت في حاجة الى الهزيمة لأدرك الأغوار ؟ وقال لى لماذا كنت لا أدرك ؟ وسكت .. كدت أقول لماذا كنا في حاجة الى الهزيمة لنذكر أنك فلسطينى ؟ وكدت أقول لماذا كنا في حاجة الى الهزيمة لنعرف أنك لست مصريا ؟ وبكى صايغ .. واختفى صايغ .. وها هو الدسوقي يبكى منفردا في ركن من الحجرة .. لماذا تبكى يا زهرة فريدة الاربج ؟ .. حزينة مهزومة ضاحكة على بؤسها ، راضية بما يمر عليها من تصاريف العواصف والرياح والنحل الفبى يسطو على رجليها الأزلى ! »

وقال الدسوقي والدموع تترى فوق خديه فاوقف سيال محسن المخزون :

— اذاع راديو دمشق أن الحرب ما تزال في بدايتها والنصر لمن يصمد ..

وظلوا صامتين .. وظل الدسوقي يحلم ..

فجأة رأى أباه ، عندما كان يأخذه ، فيجلسه على حجرة ، أما شاعر الربابة ، يحكى له عن مفامرات عنتر بن شداد ، وسيف بن ذى يزن ، وأبى زيد الهلالي .. كان أبوه يحب الهلالي أكثر ، وكان هو مثل أبيه ولا يدري لماذا . يتوه مع شاعر الربابة وهو يقص له عن أبى زيد الهلالي سلامة .. عن صحراء نجد ، وكيف نزل عليها جفاف ، وحطت بها مجاعة ، فصارت القبيلة تضرب في الأرض حتى تونس بلاد الزناتى خليفة .. ويقول الفتى أبو زيد الهلالي سلامة .. يقول الفتى أبو زيد الهلالي سلامة .. آه .. ماذا كان يقول ؟ بشى الحوادث تلك التى

تنسب أجمل الأيام .. ماذا كان يقول يا شاعر الربابة الضائع  
بين سنين الحل والترحال .. يا شاعر الربابة جواب الأفاق  
ها نحن وقد نلنا حظا من التعليم .. تعلمنا أن العدو بغيض ..  
أن الاستعمار يهر .. الاستعمار مستغل .. الاشتراكية كفافة  
وعدل .. وتعلمنا ، وآسفاه .. أن العرب أخوة ووحدة ..  
وكان الدرس التالي مباشرة عن فلسطين السليبة والخيابة !!  
وتعلمنا أيضا أن الله موجودا ! .. يا أبا زيد .. هل كنت تعرف  
ذلك كنه ؟ .. لماذا يا أبا زيد كنت قويا تحارب الجنون الحمر  
وترد الكيد وتعيد الحق للمظلوم .. أيها الفتى الأسمر هل أعرج  
اليك ؟ ماذا أخذنا من علم كسيح ؟ جلسنا ننتظر أن يتحقق  
شيء .. لم نحاول أن نتقدم خطوة .. وأنت ؟ من أجل الفوت  
سرت بقبيلتك حتى نونس .. تحارب وتسالم .. تسير ونبيع ..  
لكننا حاربنا الهواء .. وأنخنا الى الأرض .. تعلمنا ولم نتحرك ..  
كنا نتعلم قاعدين .. يا أبا زيد .. لا يعرفك الا شاعرك الجوال ..  
أما أنا فامعة .. أبكى الآن كالنساء ويهتز كرشي ، وها هم قابعون  
كأحجار الهم ... »

وعاد الدسوقي يقول :

— النصر لمن يصمد .. لمن يملك إن يلقى قوات جديدة كلما  
تطلبت المعركة ذلك ..

واستمر في البكاء فصرخ فيه أنور :

— لماذا تبكى كالنساء ؟ .. لماذا تضعفنا ؟

ووقف أنور فاذا بالشحات يفف امامه ! جذبه صقر من  
ذراعيه ليجلسه ..

برق في ذهن الشحات خاطر .. « منذ بداية المعركة ونحن

جميعا نتشاجر .. ومنذ البداية وأنا أفرق بين المتشاجرين »  
وحاول أن يفهم ما يعنيه ذلك .. ولكن .. وظل محسن يرفق  
المشهد ولا يتكلم .. تحركت عينا الدسوقي تنظرا الى أنور  
بهدوء ذي مغزى كأنما تقولان « وما يجديك أن تتهجم على ..  
وما يجديني أن أتتهجم عليك ! » .

وقال يحيى الذى لم يتخل عن هدوئه حتى الآن :

— مازلت مؤمنا أن فى الأمر حطة ما .... ان المعركة  
لم تبدأ ..

هتف الدسوقي كأنما شجعه كلام يحيى :

— راديو سوريا أكد أن النصر للعرب فى النهاية وللتفوق  
البشرى المتمثل فى قوة مائة مليون عربى .. وظل يبكى .. ودموعه  
صارت أسرع من كلماته .. وصوته صار نسيجا .. وكادت  
الدموع تطفر من عيني محسن .. تحول الدسوقي الى نبع حزين !  
وقال مخنوقا بالباس :

— هل سنظل جالسين .. نحن لا نستطيع ان نهبط الى  
الورثى ولا الى القزق ولم تعد لنا فائدة .. ماذا ننتظر .. كل  
شيء انتهى ..

أشعل أنور الراديو .. كانت الأغاني الحريئة تتوالى ..  
صوت يبنى لمصر .. تخاللت السخرية والغضب على شفتي  
أنور .. كظم محسن غيظ بركان .. شعر أنه سيفشل أمام أى  
استفزاز من أنور .. قال صقر :

— اختفى صايغ دون وداع ..

وقال وفا :

— لم تعد هناك فائدة من عودة تمام .. ولعلك اكتشف ذلك فلم يعد ..

واذا بنور يطرق المكتب بعنف ويهتف :

— ومن هو تمام ؟ وما الذي ادخله في هذا الأمر ؟ ثم ما معنى السلاح الذي ننتظره ؟ لقد فشلنا حتى في أن نعد أجل الحرب .. منذ بدأت المعركة ، وقبلها ، ورأى أن الأمر لا يزيد عن لعبة وأن دولة اللصوص تنهار أمام اللصوص الأقوى .. — وتحول بالحديث إلى محسن — وأنت يا سيد محسن .. هل ستوزعنا على مناطق الدفاع المدني ؟ أما زلت مؤمنا بالدفاع المدني ؟ ضاعت البلد .. الجيش يدمر في سيناء ..

استدعى محسن آلهة الكون ليحفظ توازنه وقال :

— أنا أعرف أننا في كارثة عظيمة .. ولكن .. — وضغط أسنانه — .. ألا يمكن أن تصمت ؟ تتركنا في حالنا وتصمت ؟

وانتهت الأغنية .. بدأ مارش عسكري .. صمتوا في يأس .. جاء صوت المديح منكسرا فيه رغبة التراجع ..

« أتمت قواتنا المسلحة أمس انسحابها إلى الضفة الغربية من قناة السويس .. وبالرغم من إيقاف إطلاق النار الذي التزمت به الجمهورية العربية المتحدة وابلغته إلى مجلس الأمن أمس فإن قوات العدو الاسرائيلي الذي تسانده قوى الاستعمار مازالت حتى الآن تواصل هجماتها ضد قواتنا قرب القناة .. كما إن الفارات الجوية على منطقة قناة السويس مازالت مستمرة في حين تواصل قواتنا المسلحة أداء واجبها المقدس دفاعا عن أرض الوطن » .

طالأت الرؤس ثقيلة خاوية تدوم في خلاياها عواصف

الآلم .. وتقلصت الأصابع على الهواء وبرزت الأعين بنزر الرغبة في التدمير .. لكنها أحست بخزي فأسبلت على شعور مرير بالعدم وصرخ صقر :

— الضفة الغربية ! ؟ يريدون القاهرة .. ؟ !

— أين تمام الآن ؟ نريد أن نحارب ولا نملك شيئا .. هكذا نتم وفا وقد أحس أنه وقع في متاهة وخسر كل شيء .. ودار أنور بالغرفة وهو يهتف :

— الحكومة تريد ذلك ! تريد أن تعيد كل شيء كما كان .. أن تفتح الباب للاستعمار — ثم هذا قليلا واستطرد — لست حزينا على شيء .. سينقلب الأمر عليها في النهاية .. حين نقاتل سنعرف كيف لا نقرط في حقوقنا ..

وجعل الدسوقي يدور في الحجرة ودموعه تسقط فوق الأرض وينتمم :

— كان أبو زيد يقود القافلة من الجزيرة إلى بلاد الزناتي لأنه لا يحب الجوع .. لا يحب الجوع .. وشاعر الربابة جواب آفاق لأنه لا يحب الجوع .. نحن نحب الجوع .. نحن نحب الجوع .. الجوع ..

ووجد محسن نفسه يتكلم وكأنه ينتهي من الأمر كله ..

— اعتقد أنه من الأفضل أن ننصرف إلى منازلنا .. وإذا أردتم الانصراف إلى أماكنكم تستطيعون الاتصال بقوة الحوض الجاف وتتركون معهم .. ليس مهما البقاء في الإدارة والمركز أو الجراج الآن كما هو مهم البقاء داخل الشركة — وكاد يقول لقد وقعنا في شرك منذ البداية وحرصنا الهامش ! — واليوم مساء

سأذهب الى المكتب التنفيذي لأسمع حديث الرئيس .. ربما تكون هناك توجيهات جديدة !! من شاء منكم الحضور فليحضر ..

— ولأول مرة شعروا أن محسن أكتهل ، وأن لحيتته طويلة جدا ، وصوته محشرج للغاية ، وأنه صار هشا كالخيوط الرفيع ، وأن عينيه غارتا الى الداخل ، وأن شفثيه ذبلتا ، وأنه يبدو كمن يستقبل الموت غير مدرك .. وأنهم رغم الأزمة ، كانوا أحيانا يضحكون ، ورغم موت سلام أول أمس وظليل قلبه ، ورغم خراب السفينة وضياع تمام ، أحيانا يتسممون ويحملون .. أما هو فكانه حمل الدنيا والآخرة وهمهما .. وأحس وقفا بالذنب فقال :

— هكذا ستموت يا محسن .. لقد فعلنا ما علينا ..

وقال يحيى مصرا على موقفه :

— وأنا متأكد حتى الآن أنها خطة وأنا في خطاب الرئيس سنسمع أمرا يصدره للجيش ليشن هجوما مضادا يكتسح الاسرائيليين !

ولكن أنور كان لا يزال على قوته من الغضب فانهجر قائلا :

— أي أمر مضاد ؟ بالأمس هاجموا العريش ، وضربوا بطائراتهم القاهرة .. والبيان يقول أنهم وصلوا الى القناة ، ويحاولون عبورها . وكل إذاعات العالم قالت ذلك . وتأتي أنت وتقول أنها خطة — وقمع بصقة كادت تقفز من فمه الى يحيى وتحول بالحديث الى محسن بشكل يوحي أن ذلك صار عادة — وانت ! ؟ قل لهم .. قل لهم معنى الاشتراكية .. قل لهم

معنى الاستعمار .. قل لهم شيئا عن المنهج العلمي .. قل لهم عن المعسكرات .. قل أن النتيجة هي أنه لا يوجد من يفكر فينا أو فيما يعمل أو يقول . قل لهم أننا جميعا مسئولون .. احدثهم .. الحقيقة أن أمثالكم هم المسئولون ! أنتم كسالي تلعب بكم الدولة ونصفت حكامها عملاء والنصف الآخر يحكم بالحديد والنار .. والرئيس .. هه .. الرئيس في عالم آخر — وكاد يقول لعله وراء ذلك كله فابتلعها — أن الذين قتلوا في السجون أرواحهم علينا ودمهم فوقنا اليوم حساب ..

ونهض محسن منهارا يتكلم في نهالك شديد ..

— دعوني .. اتركوني جميعا .. ماذا تريد مني يا أنور ؟ هل تتصور أنني سعيد بما حدث .. ؟ — وأحس ببعض من قوته تعود اليه — مالك تأخذ موقف الوطنى الوحيد وكأننا خونة ! ؟ جميعنا مسئول ، أجل ، لكن جميعنا يجب أن يعرف أن الحساب اليوم فرقة .. نريد أن نعرف الأمور على حقيقتها .. لقد ضلنا .. لكننا نريد أن نعرف سر ضياعنا .. وسنعرفه — وفرخ — والآن دعنا واذهب في ستين داهية ..

وكانما كان أنور يسعى الى المشاجرة فتقدم ليقف قبالة محسن ويهتف في وجهه :

— أنتم المسئولون ! جعلت تتحدث عن التطبيق الاشتراكي في مصر ! عن الثورة البيضاء ! عبد الناصر الاله ! العمل السياسى الجديد والصيغة المبكرة للثورة السياسى . كيف سواجه الناس اليوم ؟ أنذكر كلامك عن الحرب الوقائيه التى سنشنها على اسرائيل فى أى وقت تفكر فيه بالاعتداء علينا ؟ أنذكر كلامك عن سياسة النفس الطويل فى الحرب مع الأعداء ! ؟



كان الشحات يود . ولو مرة واحدة . أن ينتهي من دوره  
كمخلص للنراع لكنه عجز فصرخ :

— دعونا من المهارات من فضلكم ..

ووقف ليأخذ محسن بعيدا ناحية باب الحجرة .. وكان  
الدسوقي عند الجدار المجاور للباب يقول لنفسه ولبشر  
آخرين :

— النصر لمن يصمد .. لمن يملك أن يرمى قوى جديدة ..

وقال انور وهو يتابع محسن الذي يشده الشحات  
بصعوبة :

— ابن السلاح يا جبان ؟ أين أرسلت تمام ؟

انقضت شعلة نار الهزيمة في رأس محسن فارتدت وانعلت  
من يد الشحات واندفع مهاجما انور الذي اندفع بدوره اليه ..  
كان الدسوقي لحظتها قد اقترب من الباب .. دفع انور بذراعه  
بعنف في بطن محسن بمطواة مفتوحة فاستقرت في بطن الدسوقي  
الذي توسطها في تلك اللحظة !! في تلك اللحظة بالذات ، التي  
فيها أيضا في ذلك الجزء على ألف جزء من الثانية الذي تسمروا  
فيه مشدوهين بعد أن قيدتهم المفاجأة ، كان انور قد دفع الدسوقي  
المتداعى من أمامه ومرق من بين محسن والشحات وصار يقفز  
السلم في دفعات هائلة . وحين اندفعوا خلفه كان اختفى ،  
بينما كان الدسوقي قد تهاوى على جانبه الأيسر ثم انطرح  
على ظهره يشخب الدم من بطنه المرتفع ويد المطواه مرفوعة  
كوتد .. وكان الدسوقي يتمتم ببطء ..

— النصر لمن يصمد لمن يملك أن يرمى قوى جديدة ..

وكان لما يزل يبكي . ولم يكن معه في الحجرة غير الراديو  
الذي اتاه صوته هشا يقول « أذاع راديو دمشق نداء باللعن  
العربية موجها الى الجنود الاسرائيليين يطالبهم فيه بعدم الاذعان  
الى أوامر قيادتهم العدوانيين وتسليم أنفسهم للحيوش العريسة  
التي لا تريد بهم شرا » ..

وانشم الدسوقي بتهافت .. وغمر العرق وجهه وجسده ..  
وكانت ابتسامته هذه المرة غير واضحة المعنى .. اختفت لحظة  
صار وجهه فيها ملائكية لا يعرف حيل الدنيا ، وعادت من  
جديد .. ولم تزل غير واضحة المعنى .. وتباعد صوت المدياع  
شيئا فشيئا وصارت الجدران تنزاح من أمام عينيه الى الخلف  
ثم ما لبثت أن تراقصت .. دارت .. انبعجت .. ابيضت ..  
شحبت .. ذاب فيها صوت المدياع .. ذابا معا .. وفي البقية  
التي لا يدركها الا مثل الدسوقي أحب الموت .. وكانت بقية  
كافية .. وكانت طاقة الحب كبيرة ، فذاب مع المدياع والجدران ،  
وذابوا جميعا مع الصمت الأبدى ..

لم يهرب أنور من بوابة المركز الرئيسية كما ظنوا .. فحين اندفع قافرا السلم في خطوات واسعة برق في ذهنه حدس خاطف أن يختفى في الدور الثاني .. وجد أمامه حجرة مدير المركز فدخلها بسرعة . فكر أن يغلق الباب لكنه وجد نافذتها المظلة على ورشة الدهان الصغيرة مفتوحة فقفز فوق سطح الورشة ثم قفز فوق الأرض .. سمع طرقات أقدامهم كطرقات الخيل الشاردة .. ولأن ورشة الدهان تقع خلف المركز دار حوله وغامر وقفز السور المحيط به إلى الشارع الخارجى .. كان السور مرتفعا إلى حوالى ستة أمتار ، لكن هذا المكان كان مخصصا لجمع بقايا الأخشاب والخردة من الحديد لذلك كان سهلا أن يرقاها ثم يتسلق الباقي من السور .. لم يفكر لحظة أن أحدا في الشارع قد يرتاب في أمره .. نسي أن الناس أصبحت تشك في بعضها ، وأن كثيرين ممن أمسكهم الناس على أنهم يهود متسللون ، اكتشفوا أنهم مصريون بعد أن أشبعوهم ضربا ! ولحسن حظه ، وربما لسرعة الوقت الذى تم فيه ذلك كله ، فقد قفز وسقط فوق الأرض ونهض وأسرع إلى الشارع المقابل ليختفى فيه في زمن قياسى يبدو لحظة واحدة .. لحسن حظه ، أو لسرعته ، لم يكن لدى أحد من السائرين - وكانوا قليلين - وقتا ليرتاب فيه .. واستقل تاكسيا .. كان يشعر أنه نذل

جهدا خارقا ، وبالعرق قد ملا ثيابه ، وبكيانه كله ينتفض . وكان في حاجة إلى الاسترخاء التام .. داخل التاكسي لم يفكر بشيء .. ضاعت الحوادث كلها من ذهنه وغاب السائق عن وعيه .. أبلغ السائق بالعنوان ونام .. فوجيء بالسائق يوقظه في أول الشارع الذى يريد .. غادر التاكسي واجما .. أحس كأنما الجو كله دخان .. دق قلبه بعنف .. الآن سيقابل الرجل الذى فارقه منذ عامين .. كان اللقاء الأول تاريخيا بالنسبة له . وما هو اللقاء الأول بعد الفراق تاريخى كذلك .. ماذا سيقول له ؟ كيف سيجده ؟ هل تغيرت صورته ؟ هل تغير تفكيره ؟ هل سيجده أصلا ؟ سمرته قوة مفاجئة في الأرض .. شدته قوة جبارة أن ينظر إلى الخلف .. أن يستطلع الميدان .. التفت .. نظر .. لم يكن ميدان المشية مزدحم كالعادة .. اختفت عربات الأقمشة وانسحبت بضائع المحلات من فوق الأرصفة إلى الداخل وأغلقت الدكاكين .. والمقاهى صارت خالية إلا من قليل من الجالسين المستسلمين في استرخاء على المقاعد كالمهملين . بدا له شارع النصر لا نهائيا وواسعا كصحراء ، والعبارات المصفوفة على الجانبين كجبال باهتة .. وراى شارع قرنسا يمتد طويلا خاليا بلا حركة وهو الشارع التجارى العتيق ، فبدا له كشعبان ميت .. الميدان واسع متألق بضوء الشمس إلى الدرجة التى توحى بالفراغ والعدم ! .. انتثر في فزع حين أحر شيئا خشنا يتسلقه فوق جانبه .. فرد ضخم أجرب في سلسلة معدنية سوداء أمسك بها رجل بشع الخلقه حافى القدمين ممزق الثياب يضحك في وجهه ضحكة غريبة .. ضحكة لم ير مثيلا من قبل : فيها تحدى وشماتة وسخرية وغيظ وأدانة وسب علنى : .. تراجع إلى الوراء خطوتين وهطل عرقه .. جذب الرجل القرد في عنف إليه ثم أرخى له السلسلة دفعة واحدة فاندفع ناحيته لكنه لم يقفز عليه كما توقع ، وقف القرد أمامه على

قدميه الخلفيتين وبدأ يرقص رقصا مقززا .. استدار أنور بسرعة ولاذ بالزقاق الضيق والمعتم .. كانت أول عمارة في الزقاق هي التي يقطن بها صديقه وأستاذه وكانت من الطراز القديم ، عالية الطوابق على جدرانها رسوم غير واضحة بدت له كهفية أو خاصة بدير مظلم قديم ، درجها واسع وأسود الدرجات يبدو من إظلام المكان وكأنها نحت في بطن منجم رغم اتساعه .. توقف قليلا أمام الجرس .. كانت تجربة عظيمة بالنسبة له .. كان يشعر أن هذا الرجل يفتح له عالما جديدا .. وما هو اليوم يعود بعد تجربة مضنية يشعر أنه على أعتاب عالم آخر ، كل ما يعرفه عنه أنه غامض وقابض وغريب .. دق الجرس .. لبث ينتظر وقد خيل إليه أن دقات الجرس صارت طرقات نحاسية في أذنيه .. سمع حركة المزلاج فهرب ريقه .. فتح الباب .. نفس الوجه القديم .. النظرة الثاقبة المتأمل التي تبدو وكأنها تفحص الشخص وتقارنه بالعالم الذي استدفعه إليه . لكن الرجل تتسع عيناه .. أنه يندهش .. ثم يعود فيغلقهما .. أنه يتذكر .. أنه حقا قد تغير .. صار كهلا نحىلا .. عامان فقط مضيا لكنه يبدو عجوزا في السبعين .. قال أنور بعد أن زابلت الرهبة وحتى لا يستطيل الموقف غير المتوقع ..

— أنور جابر .. أتذكرني يا أستاذ سيد ؟

ابتسم الرجل ابتسامة فيها سخرية وعتاب معا وقال :

.. وكيف أنساك ؟

ثم أفسح له الطريق ليدخل .. ولبث عند الباب لحظات بعد أن أغلقه بينما انجه أنور إلى الصالة حيث الانتريه .. أنها نفس المقاعد لم تتغير .. نفس صور الحائط .. لينين ..

ماركس .. ماو .. أضاف الرجل إليها كاسترو وجيفارا وجمال عبد الناصر ! ..

سمع صوت فرامل سيارة عالية بالحارج وساحمة .. انتثر واقفا وكاد يقفز ناحية النافذة بقوة مجهولة .. قفز الميدان الخالي إلى عينيه واقتحم رأسه .. أنهد جالسا على حزن .. أخذه الرجل في أول لقاء إلى النافذة وقال :

— هؤلاء يسرون نياما .. أنهم في حاجة إلى من يوظفهم .. يتكلمون ويساهمون في أفناء أنفسهم بالتسليم !

ودارت عيناه إلى الكتب المصفوفة في صوانين صغيرين .. قفز إليه السؤال القديم الذي سأله لنفسه أول مرة عن كتب الرجل ولماذا هي قليلة ؟ قال لنفسه أول مرة لابد أن الرجل يخبئ الكتب الهامة في مكان ما ! وتأكد له ذلك لأنه حين كان يدقق في عناوين الكتب الواضحة على خلفياتها أمامه كان لا يرى بينها أيًا من الكتب التي أعارها له الرجل .. لكنه الآن يرى الصوانين الصغيرين كما هما وممثلين تماما كما كانا ورغم ذلك تطل عليه عناوين كثيرة من الكتب التي أعارها له الرجل قديما ! ولو كانت لديه قوة أكبر لفحص كل الكتب وكان لابد وأجد جميع ما أعاره له الرجل .. أغاظته هذه المسألة وأخفقه أكثر أنه لا يستطيع تفسيرها ! انقذه المقعد الصغير الذي لم يزل جوار الصوانين .. نفس المقعد الذي شاهد فوّه في أول زيارة قمبصا نسائيا ينطق .. قال له متخابثا :

— « لقد قلت لي أن سيادتك أعزب ؟ !

وأدرك الرجل ملاحظته فقال :

— لا تقل لي سيادتك .. اعتبرني صديقا .. ثم أن عمري

— ماذا أتى بك ؟ أتريد أن تبكى معي ؟ !

وبالفعل انطلق الرجل في النشيج .. انطلق يبكي بصوت عال ممتلئ حزنا .. كان صوته أوتار ندم ومذلة وأسف عميق ! .. جعل أنور ينظر إليه في بلاهة . « هناك شيء ما يا أنور لم تفهمه حتى الآن .. ولم تعد لديك الفرصة لتفهم .. ماذا حدث لمن لم يبق جزء من جسده دون أن يتعرض للآهانة والتعذيب ؟ .. هناك شيء يا أنور فاتك أن تفهمه .. أهزيمة الوطن هي التي تبكي الرجل .. ؟ آه يا أنور لو كنت تفهم ! » وأحس أنور بأن زيارته باءت بالخسران .. أحس أنه كومة خطأ .. أجل .. لكنه أيضا يحس أنه مسكين .. وكل زملائه مساكين ! القى بهم في بحر ثقيل ليعوموا وهم لا يجيدون السباحة أصلا . والجو ملبد بالسواد رغم سطوع الشمس الكاذبة .. وما أبشع أن يقتل الناس أنفسهم ، وأن تجرى الأمور على هذا التوافق الفظيع ..

س : ماذا تعرف عن القتل ؟

ج : كان مهزوزا !

س : ماذا تعنى بكلمة مهزوز ؟

ج : اعنى أنه كان بين الحين والحين يقف ويصلى فجأة ويقول كلاما غير مفهوم ..

س : هل كان دائما كذلك ؟

ج : أحيانا يكون عاقلا ، لكنها أحيانا قليلة ..

س : بماذا تعال عدم نطقه بكلمة سر الليل ؟

ج : قد يكون نساها .. الحقيقة أنه نسي قحة كل شيء ..

ليس كثيرا .. أربعون عاما ليست كثيرة .. وإذا اعتبرتني صدمعا يمكن بالتالى أن تعتبرنى شابا ومن ثم فلا حرج ! .

انه يسمع وقع نفس الكلمات أصداء بعيدة .. المقعد اليوم خال خريفى .. أدرك أن الرجل لم يدخل خلفه فانزعج .. التفت ناحية الباب .. كان الرجل واقفا ينظر إليه مبتسم ابتسامة عريضة ومربية .. أحس أنور ولا يدرى لماذا أنه وقع في مصيدة فانزعج .. لكن الرجل أقبل نحوه مشجعا .

— اهلا استاذ أنور ..

ولم يفلح الصوت الذى يصطنع البشاشة في أن يخفى مشاعر الرجل .. كان منكسرا .. جلس أنور ولا يدرى لماذا حين قال له الرجل « اهلا » وقف .. جلس الرجل .. لبشا لا يتحدثان .. جلسا جوار بعضهما تماما وصمما كمن ينتظران مصيرا واحدا .. قال الرجل بصوت مكسور :

— انها أيام أطول من ليالى الشتاء .. بل قل أطول من عصور الجليد ..

لم يرد أنور .. فتساءل الرجل بهدوء وندم :

— لماذا أتيت ؟

تذكر أنور أنه فارقه بطريقة تدريجية حتى لا يخرجه خاصة بعد أن تأكد له أنه يتاجر في البضائع المهربة .. قال يومها في نفسه « سيد بشارة المناضل الكبير الذى فهم المركسية على أصولها في المعتقلات والذى قرأ رأس المال مهربا على ورق البافرة !! ويتاجر في البضائع المهربة ! » .

وردد الرجل السؤال :

س : ألا تعرف شيئا محمدا قد يضيف الى الموضوع  
بعدا مفيدا ؟

ج : اعتقد لا .. أجل ، تذكرت . مما قد يضيف للموضوع  
بعدا جديدا ، أقول جديدا ولا أقول مفيدا أو العكس ، أن القتل  
رغم تدينه الشديد كان على علاقة بامرأة سيئة جاءت يوما تسأل  
عنه وقابلتها مصادفة عند باب الشركة تسأل شرطى الجمارك  
عن مكان عمله ولما سمعتها تسأل عنه وقلت لها انى زميله  
متصورا أنها قريبة له أو من أسرته ، قالت لى أن لها عنده نقودا  
ثمن .. وقالت كلمة قبيحة جدا ..

س : لماذا أنت دائم العدا لى لحسن .. ؟

ج : .....

س : لماذا تركت خليل يخرج وانت أكثرهم فهما  
للأمور .. ؟

ج : .....

س : لماذا تركت علام ينحرف ؟

ج : .....

س : لماذا قتلت الدسوقي ؟

ج : لم اقله ؟

س : لماذا هاجمت محسن وانت تعرف أن الدسوقي  
سيموت بحكم كونك أكثرهم فهما ؟

س : لماذا ..

ج : أرجوك .. أسألك أنا .. ماذا على أن أفعل ؟  
ولماذا ايقظتمونا من زيف الحلم .. ؟

س : لا تسأل .. أنت تجيب فقط .. لماذا لم يسلم  
تمام من لسانك ؟

س : أين تمام .. ؟

س : لا تسأل .. اجب ؟

ج : لماذا لا أفهم ما فتنى أن أفهمه ؟

س : قلت لا تسأل اجب ..

واستفاق على الرجل وقد صار يلرغ الصالة منشجا  
ويقول :

- لم أكن أحلم بهذا اليوم .. رغم أى شيء فما زالت  
سنين المعتقلات صورا راسخة فى أعماقى .. فى المعتقل كنت  
تشعر بتأكيد ذاتك كلما زاد التعذيب .. حتى لو نالك لواط .  
لكن الآن .. الآن أشعر اننى امرأة أو أقل .. وكلنا  
الآن نساء نبكى .. أليس مرهقا أن أشعر بخطأى الآن بعد قوات  
الأوان ؟

س : اجب ..

ج : أن يتحول سيد بشارة الى مهرج فهذا امر طبيعى  
لكن لماذا لا أفهم لماذا هو طبيعى ؟

س : اقلت اجب ..

ج : لو فهمت .. لو كنت أفهم .. !

واستدار الرجل ناحيته وصرخ :

- لم تقل لم أتيت ؟

وبدا أنور يبكى ويقول :

- أردت أن استريح قليلا من عناء الهزيمة .. هل أخرج ؟

قال الرجل وهو يتجه الى غرفة النوم :

- الرئيس سيتحدث اليوم .. انتظر حتى نراه معا .. نريد أن نعرف هذا سنسلم ؟ هل سنصمد ؟

نظر اليه انور ورغبة جامحة في ان يقتله تتلوى في ذهنه ، لكن الرجل قال :

- اعتقد أننا سنصمد لكن الزمن سيسحقنا كثيرا ..

واختفى الرجل .. ترك انور مهملا على مقعد في ميدان المنشية ! كبسه النوم .. كان آخر خاطر له قبل أن ينام هو أنه لم تزل في الرجل بقية عقل ..

س : .....

ج : لماذا فقدت العقل .. ؟ !

ودق جرس فانتفض من نومه على المقعد .. كان العرق ما يزال يواصل افرازه منذ الصباح كما لو كان عمادة اجبارية للجسد .. مد انور يده بمسح عنقه .. ظل الجرس يدق .. نظر الى ساعته .. مضت ساعتان ..

س : .....

ج : لماذا يسرق النوم الزمن ! ؟

نهض في تعب .. فتح الباب ..

س : أنت أنور جابر ؟

ج : أجل ..

س : هل تعرف سر مهمتنا .. ؟

ج : أجل لقد مضت ساعتان لم أشعر بهما ..

ولمعت النجوم فوق كتف الطارق ، وابتسم أنور ، ومد يديه الى الرجل الذي ظهر من الخلف وفي يده قيد حديدي ..

عندما ركضوا خلف أنور ولم يجدوا له اثرا ، انفلوا عائدین بنفس سرعة الركض عليهم يفعلون شيئا للقتيل . كانوا يصعدون السلم بقوة مجنونة كأنما جاذبية الأرض صارت مقلوبة ! وجدوه هادئا ممددا على ظهره ، باسماء في دعة بسذاجته الطفولية المعهودة ..

لماذا جروا جميعا ؟

لماذا لم يبق منهم احد جوار المصاب ؟

لماذا لم يمسك احدهم بالتليفون ليتصل بغرفة الطوارئ ربما يمكن انقاذه ؟ أسئلة تاهت من عقولهم ، ولم يفكر فيها غير يحيى الذى احس بالخطأ الشديد .. خطاه هو بالذات ! . تحلقوا الجنة كخيالات أنت من زمن كهفى قديم . كان يحيى فقط هو الذى يستطيع أن يتكلم . هو الوحيد الذى كان يستطيع ان يحكم اعصابه في هذه اللحظات خرافية الايقاع . لكنه فيما يبدو احترم المشهد المهيب . كانوا يشعرون ان العالم كذبة كبيرة . أن قبضة الكون الخرافية لما تزل تصوب سهامها النارية لهم . العنة موروثه هي أم كبوة أم سوء طالع ؟ .

سارت صورة الدسوقي امامهم هي صورة الجيش في سيناء فصار الدسوقي حاضريهم ومستقبلهم وطيبة ماضيهم مذبوحة امامهم . كان الدم قد وصل الى أول الدرجات وبدأ ينساب الى الدرجة الأسفل ليأخذ طريقه هابطا في تان شديد الوطأة واللام . كان محسن مزقا جمعتها صدفة ريح ولن تلبث أن تبعثرها العاصفة الى أركان العالم البعيدة .. كان يفكر أن هذا القتل لا يمكن أن يكون نتيجة خطأ . وأن أنور حين صوب للدية كان ضروريا أن يفعل ذلك . وكان منطقيا أيضا أن يقف الدسوقي بينهما ويموت . لكن .. آه لو يفهم لماذا ؟ أن أنور بالتأكيد لم يكن يدبر قتله لأنه مجرم يجب القتل . هناك قوى مسئولة عن ذلك .. أجل .. لماذا يقتل انسان انسانا ؟ ! ان انسانا مهما كان لا يستطيع أن يقرر أن انسانا آخر لا شيء ويمكن افناؤه .. ذلك قرار خطير لا يأخذه الا انسان خرج من مدار الانسانية . صار غريبا عليها في لحظة مفقودة من الزمن .. انه يدمرها .. وحين يرتد اليها يكون قد صار خارج دائرتها تماما ، أبدا لا يستطيع العودة من جديد .. وأبدا يحاول أن يعيد نفسه الى سياقها فيفشل .. لقد خرجت من داخله تلك البذرة الخفية الرائعة واستقرت مع مدبته أو رصاصته أو اى أداة للقتل .. يجرده القتل ، والقتيل ، من انسانية لحظة أن يموت .. ما أعجب هذا الأمر !! يقتل انسان انسانا فيأخذ المقتول انسانية القاتل معه ويتركه متوحشا .. وما أعقل هذا الأمر أيضا .. حقا ان المعنى الخفى لذلك موجود وكامن في أعماق كل انسان والا كان القتل هو الجواب على كل نزاع مهما انحط شأنه ، فالقتل دائما أهون من مظاهر كثيرة للشجار ، وأهون من الشجار نفسه بل والسب في أبسط مظاهره .. أن يغفل الناس عن هذا المعنى شيء طبيعي ، لكنه يستبقت دائما

مند لحظة الاختيار الحاسم .. انه لا يضع من كيانه تماما .. لكن ها هو يضع من كيانه تماما وها هو لا يقف امام الاختيار الحاسم .. لابد اذن من خطأ ما .. شعور جديد يركب الناس .. هذا الشعور ابن ظروف قاسية ، ناشزة في التاريخ وشاذة في الزمن .. وهناك مسئول عن هذه الظروف .. قد يكون في مبنى الرئاسة او مبنى القيادة العليا للقوات المسلحة او قل ابيب او البنتاجون او الكرملين او مكة المكرمة وربما في السماء .. وهذا المسئول يجب تحديده .. ويجب قتله وسحقه وارغامه على ان يلحق التراب !

وكان وفا مزلزل الكيان .. يشعر ان اللعبة قد كشفت عن خطورتها تماما ، وانها دخلت دورها المخيف ، وان ما قاله عن الظواهر الشاذة في المجتمع صحيح وانها ليست بسيطة ولا شيطانية .. وان قتل الدسوقي خطأ مثل قتله مع سبق الاصرار سببها واحدا ! وان ذلك ايضا معادل للمرأة التي يبتزها الرجال في المواصلات او المرأة التي تخون زوجها او الفتاة تتنقل بين ايدي الشباب او ان يصبح للعاهرات سعر ويأخذ في الارتفاع لاقبال الاشقاء العرب عليهم ! او ان يمتلك اغلب شقق عمارات شارع النصر غايات يعملن لصالح الليبيين وغير الليبيين .. او ان تتم المقايضة على بنات الفقراء بالأقمشة المستوردة او غير ذلك من كثير مما كان يعلنه محتجا عليه في سخرية .. ويشعر الآن في هذه اللحظة انها ظواهر تخفى وراءها خراجا متقيحا كان لابد ان ينفجر ، وحين انفجر ، انفجر صديدا ملا الفضاء ولوثهم .. وبدت الدنيا تقيم امام عينيه ..

في نفس الوقت كانت سخونة دمع صقر تجعله يفكر في انه لم يك زمن بعيد .. منذ زمن لم يعد يتذكره .. والأرجح انه لم يك قط .. ليس أبدا لأنه قوي ، فطالما كان يحن الى البكاء

وب اكثر ما كان يشعر بأنه مدفوع لأن يبكي وان هناك ما يبكيه في كل لحظة وكل منظر يراه في الشارع او امام التلفزيون او حين يسمع برنامجا في الراديو .. وأدرك انه كان دائما يحزن أن ينسى رغبته الشديدة في البكاء عندما يضحك أحد أمامه .. بل حتى عندما تضحك زوجته او اخته او أمه او أبوه او حين يقول أحد نكتة او يسأله طالب من تلاميذه سؤالا او حين يسمع محاضرة او يشترك في مناقشة ! والمرة الوحيدة التي كان الجميع فيها يبكون أمامه هي لحظة الوداع بالمعسكر السياسي وكان هو يريد أن يضحك ! ولكنه وقد وجدهم جميعا يبكون فقد بكى .. تذكر يوما فائن حمامة وكيف انها تستطيع أن تبكي في أى وقت يطلب فيه المخرج ذلك ! أدرك ان ما يمنعه عن البكاء هو الذي كان يمنعه عن الكلام وهو الذي يقتله اليوم ويقتل جيشه وشعبه ، وهو الذي جعل أنور يحاول قتل محسن وهو الذي جعل الدسوقي يقف بينهما ذاهلا عما يجري أمامه فيموت .. أدرك انها محنة كبرى ان لا يستطيع أن يبكي وأن يضحك حتى في الجنازات ! : محنة كبرى ان يمنع عن البكاء .. وان يتوقف بالقوة عن الحزن الذي يعيشه ليل نهار .. أدرك انه كان لابد ان يحدث ما حدث كي يبكي ولكن .. اكان ضروريا يا صقر ان يحدث هذا كله كي تبكي ؟ .. وأحس مسئوليته عما حدث لأنه لم يك منذ زمن طويل .. لو كان بكى لما حدث شيء .. أجل ، لو كان بكى ما حدث شيء .. ما مات زملاءه ولا اختفى تمام !

وجعل ينظر الى زملائه نظرات سريعة مترددة ، فيها رعشة الاكتشاف الفطري لعالم جديد تماما ومبهم .. هذا بينما كان الشجاعت يشعر ان دم الدسوقي ينساب منه هو .. أن روحه تتسرب من قدميه مع هذا الدم المنساب .. انه يكاد يقع فوق



الأرض يلعق الدم .. وفكر ان لابد أن زملاءه يشعرون بما يشعر ..  
وان تمام لابد حدث له ما حدث للدسوقي .. وان الدم يشخب  
منه الآن في مكان بعيد .. انه لابد مسجى وادعا مبتسما .. وامتدت  
يده مرتعشة وهو الذي عرف عنه الاتزان والهدوء الى بطن محسن  
الذي نظر اليه منكسرا اذ أدرك محنته .. اتسعت عينا الشحات  
حين اصطدمتا بعيني محسن .. برقتا .. قال بصوت رفيع  
مخنوق :

— لماذا لا يسيل منك دم والخنجر هبى في بطنك .. !  
والتفت الى وفا يتحسس جسده بينما طفرت الدموع من  
عين محسن حارقة تنثال سريعة كأنما كانت تشوق الى هذه  
اللحظة منذ زمن ففطت وجهه كله فصار كوجه صقر الذي  
صارت له ألف عين دمع حار .. واستدار الشحات الى صقر ..  
راى عيني مرتعبتين .. تركه وسار ببطء وانكفا يغمس أصبعه  
في الدم الذي يتخلل القنوات الصغيرة بين مربعات البلاط ..  
هبط السلم مع مسار الدم وهو منكفئ .. وقف في المنتصف  
ينظر اليهم ويقول بايقاع رتيب موقع في تصميم وعزم غريبين ..

— أنا أعرف السبب .. وأعرف ان القاتل يقتل تمام  
الآن .. القاتل ضحك علينا .. القاتل أعطانا وعدا زائفا .. القاتل  
يقتل تمام الآن ..

وقفز السلم واختفى كالرمح وارتفع صوته يملا صياحه  
جنبات المركز وهو يجرى نحو الفناء ومنه الى الشارع حيث لم  
يسمع له بعد ذلك صوت ..

وكان الدم قد أخذ يرسم خطوطا متباعدة ومتداخلة في بعض  
النقط فوق القنوات الصغيرة بين مربعات البلاط فشككت

القنوات المتشابكة امام عيني صقر لوحة اخطبوطية بشعة  
تحاصره .. أحس ان الذي يرسم الغابر كله ! استمرت عيناه  
في ترددهما وسرعة تحرك يديهما .. صار يتمتم كمشعوذ  
« سأقتل قاتلك يا دسوقي سأقتل قاتلك يا دسوقي سأقتل  
من قتل الدمع في الأجفان » وانكفا فوق السلم يلوث  
كفيه بالدم .. نهض وقد لمت عيناه ببريق مخيف وحشى ..  
نظر الى زملائه .. نظر الى كف يده فوجد الدم يصنع فوقها  
صليبا أحمر داميا اذ كان وضعهما فوق قناتين متقاطعتين ..  
قال بصوت خنقه الألم ..

— سألوث وجهه بالدم .. سألوث وجهه بمداد أوامره ..  
سألوث وجهه بالوان ريشته .. ها ها ها ها ها ..

وظل يصرخ ضاحكا ثم قفز من بينهم هاربا الى السلم  
من الناحية الأخرى وهو يهتف :

— اتبعونى .. سأنتظركم عند السفينة .. القاتل هناك ..  
القاتل .. هناك ..

واختفى وصوت صراخه يملا المكان الحظيات ثم تبدد وابتلعه  
الفناء الذي يبتلع كل شيء .. وكان يحيى خلال ذلك قد انسلخ  
من بينهم واتصل تليفونيا ببوليس الميناء .. عاد وأخذ بيد وفا  
وأدخله الحجرة .. كان يتحرك معه ذاهلا وكان معصم يده  
باردا كالثلج تحت كف يحيى .. ثم عاد مرة أخرى ليأخذ محسن  
ويجلسه أمام وفا .. أخرج من درج المكتب جريدة .. غطى  
بها القليل .. وجلس بينهما على جانب ثالث من المكتب ..

كان الراديو منذ لحظا وحيدا .. أما الآن فقد شاعت

الصدفة ان يتوسط الثلاثة فوق المكتب .. كان في اللحظات السابقة ينشر مارشاته العسكرية في الهواء ولا يسمعا أحد .. اما الآن في اللحظة التي فيها لم يكن أحد منهم قادرا على ان يفهم لو يستوعب شيئا مما يمكن ان يقال بما في ذلك يحيى نفسه ، فقد كان البيان العسكري الأخير ..

انقطعت المارشات وجاء الصوت مبتورا يفضى بحقيقة كريمة لكنها لم تكن بذات طعم بالنسبة لهم !

قال المديع مهرولا كان حية تلدغه :

« ساد الجبهة الآن الهدوء وأوقفت جميع العمليات مراعاة لفرار وقف إطلاق النار » ..

صفحات من  
اعترافات أنور

- ١ -

ولدت في أسرة متوسطة . ولانى لا أميل الى شيء مفروض  
منذ كنت صغيرا ، كان تعليمي متعثرا . كان ممكنا أن أحصل  
على شهادة عالية . بل لقد استماتت أسرتى من أجل ذلك . لكنى  
لم أكن أميل الى الدراسة ، فهي كاشياء كثيرة أشعر بها  
مفروضة . لذلك حصلت ، لمجرد عدم الهبوط الى القاع فقط ،  
على شهادة فنية متوسطة . تماما كآسرتى المتوسطة . وعملت  
مدرسا في مركز للتدريب ملحق بإحدى الشركات البحرية . ولم  
يكن في عملى شيء يستحق أن أكتب عنه ..

## — الجرائد —

فضحك بعنف وشراسة وهو يستلقى على ظهره حتى لامست الرمال قفاه .. خطته مخبولا ودهشت كيف تسبب له اجابتي كل هذا الخبل .. في الحقيقة فزمت .. لكنه اعتدل جالسا وسألني :

— فقط .. ؟

قلت :

— والمجلات أحيانا ، وأسمع الراديو وأشاهد التلفزيون ..

لم يضحك هذه المرة .. غضب وبانت على وجهه آيات الضيق كما لو يلى أمرى ! وقال بصيغة أمرة وعنيفة ..

— إذا أردت أن تعيش كأنسان فعليك أن تعتبر أنه لا يوجد شيء اسمه جرائد ولا مجلات ولا اذاعة ولا تلفزيون .. وبعد لحظة نظر فيها الى بدقة شديدة واستطرد — وطبعا هذا الحكم ليس خاصا بالعالم أنه خاص بمصر ومن على شاكلتها من البلاد .. أبحث عن الكتب حول نفسك الى دودة كتب .. ستكتشف عالما جديدا أساسه آدميتك ..

— ٢ —

كانت نقطة البداية حين تعرفت على سيدنا بشارة .. انه مناضل قديم .. هكذا قال لى حين سألته عن هويته .. قال بالتحديد ..

— ألم تسمع عن المحارب القديم أو السجين القديم ؟  
أنا مناضل قديم ..

وكان يبتسم بدهشة ..

وكانت بداية التعرف على شاطئ العجمى .. تعرف كآلاف غيره تتم على الشاطئ لم أكن أعرف أنه سيحول حياتى بهذا الشكل .. قال لى :

— أنتم تضيعون وقتكم الضائع فى ضياع !

تساءلت مندهشا ومرتجا على من طريقته فى الحديث ..

— كيف ؟

— تساءل بهدوء :

— ماذا تقرأ ؟

قلت :

قلت وأنا أتعجب من معرفة الرجل :

.. لا ..

قال :

.. هذا كتاب له وهذا كتاب عنه أفراهما .. لن تفهم الأول جيداً إلا بعد قراءة الثانى .. وحتى بعد ذلك لن تفهمهما جيداً ولكن ستشعر بشيء أخبرنى عنه بعد ذلك ..

تلقيت الدرس الأول .. وبعد قراءة الكتابين شعرت بأنى أريد أن أتشاجر وأن أقرأ كثيراً فيما تحدث فيه الكتابان ! .. وأخبرته .. وقرأت .. وعرفت فيما بعد أن له علاقات واسعة مع مهربي البضائع الذين يمارسون نشاطهم فى طريق الغرب .. أعنى « ليبيا - مصر » تلقيت الدرس الأخير .. فارقت بطريقه حسنة بعد أن وضعت قدمى كل فى طريق !! .

- ٢ -

لم اكن اعرف ان سيد بشاره هذا من اوائل من انضموا للحركة الشيوعية فى الأربعينات .. ذهبت اليه ملياً دعوتـه خالى الدهن .. اقصى ما فكرت فيه أنه رجل يحب الكتب الصفراء ويكره الدنيا .. ولا اكلب اذا قلت اننى ذهبت وفى رأسى أن أسدى اليه معروفاً وأجعله يقرأ الصحف ويسمع الاذاعة ويرى التليفزيون !! واذا فشلت أجعله شيئاً اتسلى به .. صديقاً خاصاً وشديد الخصوصية .. وجدت منزله هبارة عن شقة واسعة منسقة وبديعة فى احدى عمارات حي المنشية .. عمارة قديمة واسعة الغرف وصحية المنافذ .. دار بيننا الحديث ولدهشتى وجدت الرجل ملماً بأمور شتى اجتماعية ونفسية وسياسية وجنسية .. شعرت بالخجل من نفسى .. كنت طوال الحديث مستمعا .. قال وهو يقدم لى كتاباً ..

.. هل سمعت عن الاشتراكية ؟

دهشت من السؤال .. فالمفروض اننا نسمع عن الاشتراكية . كل يوم وكل ساعة .. خلصنى من حيرتى فالحق السؤال بآخر ..

.. هل سمعت عن كارل ماركس مثلاً .. ؟

« الفكر في الرأس حشو فراغ .. لابد أن تبحث عن أماكن التجمع الجماهيري تنشره بينها بكاء » ..

هكذا لقننى سيد بشارة .. لذلك ، حين سمعت عن أن هناك تنظيماً جديداً للشباب التحقت به فوراً .. وجدته المكان المناسب تماماً .. تنظيم شبابى مدفوع بقوة الدولة ومدفع بطبع الشباب .. لم أكن مقتنعا بتجربة التنظيم الأكبر - التنظيم الأم كما لقنونا - لأنى بعد أن تقدمت في القراءة أدركت أن الاتحاد الاشتراكي هذا تلفيق لا معنى له .. ووضعت نصب عيني بعد أيام من التحافى بالتنظيم الشبابى أن أجمع حولى من الشباب من استطيع معهم أن أقبله رأساً على عقب .. كان محسن عضواً في التنظيم معى .. لم أكن قد تعرفت بعد على نوعية أفكاره .. كل ما كنت أعرفه عنه هو أنه قارىء نهم وعاشق للأدب .. اشتركنا في أول معسكر سياسى بأبى قير .. منذ أول حلقة نقاشية ظهر الاختلاف في طريقة تفكيرنا .. أنه يؤمن بصحة الخطوط الفكرية العامة للتجربة كلها .. ويؤمن بضرورة وجود الإخطاء ويعتقد أن الطريق إلى حلها هو القانون مع التشديد في تطبيقه .. وأنا أؤمن أن هذه الإخطاء ليست

ضرورة ويمكن ألا تحدث لو أن هناك سيفاً معلقاً في الهواء يسقط على رأس الذى لا يريد الاتصياح .. كنت دائماً أقول أن فرنسا لم تكن لتكون فرنسا إلا على أنهار دم المدايح التى شهدتها السنوات الأولى لثورتها .. وأن سان جوست وروسير أعظم من دانتون ومن نابليون أيضاً .. وأن الثورة السوفيتية تدين لستالين أكثر مما تدين للينين !! وكان هو يعتقد أن المشكلة الدينية ليست في وجود الدين من عدمه ولكن في تفسير الدين .. وكنت أنا أقول أنه كما أن محاولة نزع الاعتقاد تجابه بسنين طويلة من التراث الروحي فكذلك محاولة توجيه الاعتقاد .. فإذا كان الجهد ضرورياً ، وهو ضرورى في نظرى ، فليكن في نزع الاعتقاد !! وهكذا ظهرت خلافاتنا التى انعكست على صداقتنا بشكل أو بآخر .. ورغم تقدمه على في الواقع التنظيمية دائماً إلا أنى لم أحقق عليه قط .. كنت أرى أن الضلال في رؤيته معادل لثورتها تماماً وأقول ذلك له ولغيره .. كنت لا أستطيع احتمالاً ، هذا حقيقى ، ولكن أيضاً يخالط ذلك شعور بالشفقة عليه .. ذلك أنه ناقص الخبرة والمعرفة .. فهو لا يتكلم عن غياب الحرية ولا يعرف شيئاً عن المعتقلات - فكرت مرة أن أبدأ كتابة كتاب عن تاريخ الاعتقال والمعتقلات في مصر - ولا يعرف أنه يمكن القبض على أى شخص واعتقاله دون سابق انذار أو تحقيق .. وأنه يمكن للإنسان أن يخرج من منزله فلا يعود إليه .. وإذا عاد فإنه دائماً فاقد لشيء ما بدءاً من الأصابع حتى عضو التذكير مروراً بالعقل الذى هو الهدف الأول .. ومحسن متميز بعيد الناصر لدرجة الخبل رغم قراءاته في الماركسية فيما أعرف .. يأتى عند الجد ويقول « الدين لا يهمنى الآن المهم أريد أن يأكل الناس .. أنا لا أصلى ، وصومى عادة ، ولكنى بصدد هذه المسألة أحب الحياد .. والقومية العربية

ضرورة ، والامية بعيدة المنال ، والتأميم ممكن لكن المصادرة خطأ في حق الناس . والملكية الخاصة مشروعة في حدود القانون الذي لا يسمع بالثراء الفاحش والاستغلال ، أما الاستغلال فهو ما اتفق عليه الناس انه كذلك !! « هكذا يعلمنا الميثاق كما يقول ! والتاريخ ليس عربة تجرها خيول ممتازة هذا صحيح - وهذا كلام محسن - لكن لابد أن نعترف بأن هناك خيولا ممتازة في التاريخ !! وهذا كلامه أيضا .. وكنت اكظم غيظي .. ولكني أحيانا ما كنت أنسى وأود لو أعصف به لكن لشعوري بأهمية استقطابه لما يتمتع به من شعبية في العمل، لم أحاول أن أشوهه في التنظيم السري الذي كنا نتبعه !!

- ٥ -

فجأة وجهت الى نفسي سؤالا .. هل أنا قادرا على المضي في هذا التنظيم السري ؟ .. أخذت أحلل الأمور وقلت لنفسي « لا توجد أحزاب ولا يوجد حزب .. والموجود تنظيم جماهيري فاقد الفاعلية لأنه تجربة تلفيقية أنت بعد خواء سياسي رافق النزعة التلفيقية التي لازمت الثورة وسينتهي الى خواء كذلك .. » وتذكرت سيد بشارة يوما حين قال : « قامت الثورة والأحزاب التقليدية شائخة .. لكن كان هناك والحق يقال جناح شبابي في حزب الوفد كان يمكن للثورة أن تستفيد منه أو من بعض عناصره وكانت الأحزاب اليسارية تستطيع أن تساهم بدور كبير وخاصة أنها لم تعاد الثورة كغيرها من الأحزاب - وابتسم ابتسامة خفيفة جدا فهمتها فيما بعد - وزاد تأييدها للثورة بعد أن رأتها تبادر بقانون الاصلاح الزراعي وأعلان المجالس الاقتصادية والجمهورية .. لكن الثورة عممت تصورها عن أحزاب الأقلية ومن الجناح التقليدي في حزب الوفد وأهلكت الجميع ضربا وسجنا .. هل تتصور ثورة تسجن الاخوان المسلمين والشيوعيين معا ! .. هذا ما حدث .. وكنا نشاءل من الذي يستطيع أن يعيش بسلام ؟

كان تنظيمنا من بعض أعضاء المنظمة المتطرفين والمتوسمين فيهم وبعض طلبة الجامعة وبعض المناضلين القدامى .. كانت اجتماعاتنا في مكتب خاص بأحد المقاولين الأجانب .. لم يكن للمقاول صلة ما بذلك ولكن كان مسكرتيره هو رأس التنظيم .. وكان هذا المكتب يوفر لنا غطاء أمنيا أمام أي شكوك مباحثية .. وكنا خلايا قليلة لا تعرف الواحدة الأخرى .. وكان محسن من أعضاء خلية غير خليتي .. ولقد عرفت ذلك بطريقة ما .. في الحقيقة كان رأس التنظيم يتوسم في كثيرا فدلني على أسماء الجميع !! ولا أعرف ما اذا كان محسن عرف ذلك عنى أم لا ..

وفي دوامة هذا التحصيل زارني زميل وأخبرني بتوقف الاجتماعات - لم تستمر أكثر من شهر - لفترة بعد أن تم القبض على بعض الرملاء .. وفكرت .. ماذا يحدث لو اكتفيت بعمل رجال الأمن .. لن يجرؤ أحد أن يسأل عني لأنه سيختفى بدوره ..

- ٦ -

واكتفيت بالعمل داخل التنظيم السبائي فقط وبوضوح لأنه والحق يقال يتمتع حتى الآن - ونحن على أبواب معركة مع إسرائيل بعد أيام - بحصانة شديدة .. لكن هذا لا يجعلني أنسى أن أقول أن نفس الأيدي التي أقامت هذا التنظيم ستخنقه .. والا كيف نفس تحويلهم له الى الاحتفالات والمقابلات والهتافات .. هذه التنظيمات التي تقيمها الدولة لها أغراض أخرى غير ما تقوله وإذا خرجت عن مسارها ضربتها الدولة . نحن نعرف ذلك ولكن لابد من استثمار الموقف !!

عشت فترة قلق بعد أن قبض على هؤلاء الزملاء .. لكنهم كانوا شجعانا والا ما كتبت هذه الكلمات ..



بدأت كتاباتي للمذكرات كهواية مراهق .. وانقطعت عنها  
منذ بدأت أفهم شيئاً عما حولى ولكن لا أعرف لماذا عدت اليها  
وكتبت هذه الصفحات مرة واحدة .. هل لأن الحرب لا بد  
مشتعلة بيننا وبين اسرائيل لأن حكومتنا أغلقت اليوم مضائق  
تيران في وجه الملاحه الاسرائيلية .. وما علاقة ذلك بالمذكرات .. ؟  
لا أعرف .. قد تفيدنى اذا رجعت اليها .. أو .. ماذا سأكتب  
« أو تفيد غيرى اذا لم أرجع اليها .. » .

اليوم  
الأول

---

العائد مع الفجر

لا يدري كيف انتهى اليوم .. لا يدري كيف وصل الى  
هنا .. لقد شعر انه مات اكثر من مرة .. انه لا شيء الف  
مرة .. انه اجوف .. مجرد اقدام تمشي .. بليد بلادة قطع  
الأخشاب القديمة ملقاة في بئر فارغ في صحراء موحشة تصرخ  
فيها الرياح .. لقد جاء البوليس .. أجرى تحقيقا سريعا ..  
لا يدري كيف كان يجيب .. لا يدري نوع الأسئلة التي يسألها  
الضابط .. كل ما يدور به انه كان يتكلم وكان الضابط يتكلم ..  
كان يشعر ان وراء الكلمات معنى عميقا لكنه أصبح عاجزا عن  
فهم هذا المعنى الذي يراه ويكاد يلمسه بيده .. ربما لأنه  
كان يود الا يحدث ذلك .. ربما لأنه يكره ان يقتنع بهذا المعنى ..

« قال الضابط :

— لقد اتعبتمونا .. ثلاثة حوادث في اربعة ايام ..

— .....

س : من الذي بدأ الشجار ؟

ج : ربما أنا .. كان يسمى اليه ..

س : هل كنت تعرف انه يحمل مدية .. ؟

ج : لا .. ولم أعرف لماذا عدت اليه .. ؟

س : هل تعرف أين يمكن ان يكون الآن ؟

ج : لا ..

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

## قال وفا :

— أنا اعرف انه كان يعرف تاجرا بالمشية اسمه سيد  
بشارة .. انه تاجر مشهور .. ولقد قال لى انه على صلة قرابة  
به من ناحية أمه .. «

يريد الآن أن ينسى كيف مر عليه النهار .. كيف كان  
المساء .. يريد أن ينسى كل شيء .. انه ينظر الى السفينة  
المحطمة .. أين الحرس .. ؟ أين قوات الجيش وحرس الميناء ؟  
كيف يتخلون عنها الآن ؟ .. ان الحرب لم تنته .. لقد وصل  
الاسرائيليون الى القناة .. أجل .. دمر الجيش .. أجل ..  
تنحى الرئيس .. لكن هذا لا يعنى نهاية كل شيء .. الخطر  
ما يزال كامنا فى كل لحظة .. فى كل هبة هواء .. فى كل خطوة  
فى الظلام أو فى النور .. آه سفينتى المحطمة .. انبعجت الواح  
الصاج وطارت الجثث فى الفضاء .. هوت المؤخرة وسقطت  
المقدمة وتحطم الباب ليندفع الماء الغبى يتلف كل شيء اعد  
باحكام .. صور شبحية شاحبة أنت .. بقايا دوارس لم يمر  
عليها زمن ! .. تقول أن هنا كانت ارادة وكان أمل صوح بهما  
وطوحت بهما شياطين ومردة تحدت هويتها بالشر الأسود ..  
ها هو الآن جالس جلسة لم يكن يفكر يوما أنه سيجلسها ..

وحيد والليل اسود قائم قدر .. كانت قدماه تسيران فى طريق  
وراسه فى طريق وقلبه فى طريق ثالث .. يا دموعى لماذا الا تهطلين ؟  
لماذا تتراجعين وتتأمرين على قتلى كمدا ؟ لماذا تجعلينى ذاهلا  
أبله لا خذى هذا الهم عنى وافوضى على وجنتى .. بللى وجهى  
وصدرى وارضى الطريق .. دعى أقدام الملهوفين المهروولين  
صارخين لا يعرفون ماذا جرى وماذا يمكن أن يجرى .. الذين  
يجرون لأنهم يشعرون أنهم فقدوا كل شيء .. لأنهم وجدوا

أنفسهم فجأة فى عرض الطريق المزدحم حيارى بلا سلاح ..  
دعيهم يفرقون ويسبحون فيك .. قولى لهم أن هناك فى هذا  
الظلام من يمد اليهم دموعه !

« لقد تعودنا معا فى اوقات النصر وفى اوقات المحنة ..  
فى الساعات الطوة وفى الساعات المرة .. أن نجلس معا .. وأن  
نتحدث معا بقلوب مفتوحة .. وأن نتصارع بالحفائق مؤمنين انه  
من هذا الطريق وحده نستطيع ان نحدد اتجاهنا السليم مهما  
كانت الظروف عصيبة ومهما كان الضوء خافتا .. »

الضوء خافت والقلب مطموس فى طين .. وسيط اسوداء  
تلهب القلب فيطير منتفضا وحيدا فوق الماء تدوسه أقدام  
همجية وتدفعه الى قاع الطين من جديد .. القاع ياسفينتى  
تحطم وتسرب اليك الماء الفادر .. القاع ياسفينتى كان صلبا ..  
كان راسخا .. هكذا كنا نراه وفجأة حوله الانفجار الى ثقب  
مروعة .. الى طرق تنفذ منها الريح .. الى آبار تخنق وتدمر  
الرأس .. لماذا الخدعة .. لماذا الخدعة .. لماذا ؟ ..  
آه .. كانت نظراته بعيدة .. مشدودة .. قانطة .. منزوعة  
الاتصال بكل ما هو واقع .. وكان الصوت مختنقا .. الورقة  
مرتعشة .. والصورة كلها كابية ..

— لا يا ريس .. لا يا ريس ..

وسقط واحد فوق أرض المكتب .. المكتب التنفيذي ..  
آه .. كم من ليالى جلسنا هنا .. خططنا .. ناقشنا  
— ودبرنا .. انجزنا مشروعات .. كنا نحمل هم المجتمع وهم  
الناس .. كنا مدقوعين بحماس غريب .. حماس التاريخ

المطموس والرغبات المكبوتة منذ كنا برد غزوات الحيثيين  
والهكسوس والفرس واليونان والرومان والأتراك والفرنسيين  
والانجليز .. الرغبة التي توالى عليها عهود الآخرين ..

— لا يا ريس .. لا يا ريس ..

وصرخ آخر وسقط .. شعروا أنهم فقدوا كل شيء ..  
ها هو الزعيم الذي عاشوا ينفذون تعاليمه .. الذى كانوا  
ينتظرون خطابه ويحتفلون به .. يناقشونه يستخلصون منه  
الدروس .. يعملون بوحي من هديته .. هو .. الزعيم ..  
يتركهم .. يذهب .. يبتعد .. يختفى .. يموت .. كانوا  
يعتقدون انه سيعطيهم املا .. فهو قوى .. جمال عبد الناصر  
قوى .. اقوى مما يتصور البشر .. لكنه يتركهم .. ينفذ في  
قلب الحقيقة .. لا امل .. اسودت الدنيا في العيون .. تلتوت  
الوجوه بنظر الى بعضها .. اصبح صوته .. في آذانهم غير  
مفهوم غير واضح .. كانوا لا يصدقون .. كان محسن يحسب  
انه يسمع صوتا آخر .. ليس الزعيم هو الذى يتكلم .. لكنه  
هو .. انه ليس هو .. لكنه هو وليس غيره .. الحالم بيوم  
للوحدة العربية .. الفاتح الابواب لرياح الاشتراكية .. الذى  
غنى له عبد الحليم حافظ اجمل الأغنيات .. الذى كان صوته  
يدفع فيهم النشاط العظيم الباعث على السعادة وهم يجرون  
فوق البرك والمستنقعات في أعماق الريف بالتراب ليردموها ..  
يقيمون فوقها ساحات شعبية وملاعب ومدارس ومصحات ..  
صوته .. آه .. صوته العميق النافذ في الأعماق المجلجل في جلال  
« ايها الاخوة .. لقد فرض علينا القتال .. لكن لن نستطيع  
قوة في الأرض ان تفرض علينا الاستسلام .. سنقاتل ..  
سنقاتل .. سنقاتل الى آخر قطرة من دمائنا » .. لكن الجميع

تركوا السفينة والربان .. « باسم الأمة .. نعلن تأميم الشركة  
العالية شركة قناة السويس البحرية .. شركة مساهمة مصرية »  
كان صغيرا لم يفهم هذا الخطاب يوما .. لكنه في المعسكرات ..  
في مشروعات العمل كان يسمعه .. ويحبه .. ويعيده الى سنين  
البطولة التي حرمتها طفولته منها .. ها هو الرجل الذى أسر  
القلوب في الأزهر .. ودوخ الاستعمار .. هو نفسه يذهب ..  
اكاد لا بد من هذا .. « لقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا ان  
تساعدوننى عليه .. لقد قررت ان اتنحى تماما ونهائيا عن أى  
منصب رسمى وأى دور سياسى وان اعود الى صفوف الجماهير  
وأؤدى واجبى كائى مواطن آخر .. »

الشوارع تصرخ محتجة مثبثة بقليل امل .. المنازل  
والعربات والطرقات حناجر مليئة بالارادة رغم انها مذبوحة ..  
فلماذا كان مذبوحة ؟ .. لماذا كان مذبوحة رمز سنوات صراعها  
المجيد ؟ .. وكان اجتماع قصر بين الأعضاء ..

قال أمين مساعد الشباب :

— ليس مهما ان يتنحى .. سيصبح مثل ماوتسى تونج ..  
زعيم لا رئيس !!

يا خيبة هذا الوطن وخيبتنا .. وتبعثر الاجتماع ..  
وتبعثروا في الشوارع مع جموع الشعب الزاحفة الى ميدان  
المنشية .. ميدان التحرير الذى شهد إرוע قرارات الثورة ..  
وشهد أيضا مؤامرة اغتياله .. والذى يتصدره أيضا مبنى  
الاتحاد الاشتراكي .. بورصة الأوراق المالية القديمة !! ..  
الجميع يحرون صارخين بالوفاء .. صاخين بالدموع ..

رجالاً .. نساء .. شباباً .. فتيات .. صبية صفار ...  
وعرف الشعب القيامة .. ومحسن قد خرج من المكتب التنفيذي  
في شارع التحرير .. يجري حيناً .. يسرع الخطى حيناً ..  
يمشي الهويناً .. يقف يتلهف والأقدام تتراكم من حوله .. سال  
نفسه هل يجرون الى شيء أم من شيء ؟

وجد نفسه في منتصف شارع النصر .. ثم عند نهايته ..  
كان ميدان المنشية امامه وادياً ممتلئاً بالأصوات الوحشية التي  
حبستها أزمنة سحيقة .. كأنما للكون أوتار تخفق .. لكن الظلام  
تام يلف كل شيء .. والأصوات وحدها تتحدى الظلام ..  
تضاءلت أصوات ميكروفونات الاتحاد الاشتراكي أمام الجناجر ..  
أفواج متواكبة من كل الطرق تصب في الوادي الحزين .. ان  
محسن يرى لوحة الحزن تملأ الفضاء .. لكنه لا يبكي ..  
جسده كله يعتصره الألم العنيف والرغبة في سحق الوجود  
بما فيه .. لكنه لا يبكي .. دوت صفارات الانذار .. من يسمع  
صفارات الانذار الآن ! ! ما معنى الانذار الآن ؟ ان أحدا ممن  
امتلا بهم الوادي الحزين لا يشعر الا بأنه صار عارياً فجأة ..  
يتلفت حوله فلا يجد شيئاً بعد أن صفع على رأسه صفعة  
شديدة شلت قدرة الروح وأحبطت دم القلب فاستقر في القاع  
متخسراً .. ومحسن نائر .. تائه .. لا يهتف .. لا يتأمل  
شيئاً مما يجري امامه .. انه يسير .. يجري حيناً .. يسرع  
حيناً .. يتمهل .. يلف .. يدور حول نفسه .. وفي لحظة  
لا يعرف كيف فطن لها أحس بالشركة .. بالسفينة المحطمة ..  
انسحب الى شارع السبع بنات .. وجد نفسه وحيداً في طريق  
عودته .. الدنيا كلها تجري الى ناحية وهو يزحف الى ناحية !

فجأة .. بعد ان قطع مسافة طويلة من الشارع أحس

بنفسه .. وأحس بنفسه يسير في طريق مضادة .. وأحس  
بكلمة مضادة هذه أكثر حين اصطدم أكثر من مرة في طوابير  
الهلج المتجهة الى وادي الحزن .. وبكى .. وبكى .. وبكى ..  
واسرع كأنه مطارد .. كان صوت نشيجه عالياً .. حين تعب  
تمهل .. صار يجر ساقيه .. فوجيء بعجوز يحاذيه في السير ..  
جواره تماماً .. لا يعرف من أين ظهر .. كان يمشي مثله في  
الطريق المضاد .. لكن العجوز لا يبكي .. يقترب من محسن ..  
يضع ذراعيه على كتفه .. يربت عليها بحنو .. لم يخجل محسن  
منه .. أحس أنه يريد أن يدفن رأسه في صدر العجوز الذي  
قال :

— لا تبك .. لا تبك .. تماسك .. هل انت صغير .. ؟

وأزداد محسن في البكاء فتركه الرجل واختفى في لمح  
البصر .. وها هو محسن الآن أمام السفينة بعد أن جفت  
دموعه واستعصت عليه ينفجر فجأة في البكاء من جديد .. كانت  
الأيام القادمة محطة التاريخ التائه منذ زمن سحيق .. وكنا  
سنراك مجللة بالأفراح والزينات تنزلين الى الماء وتخطرين ..  
ونجري ورائك ونضحك .. نفرح ونبكي مسعادة .. أنك  
أبدينا .. وقلوبنا الصغيرة .. أي إرادة غبية مقبلة شاءت لك  
هذا الهوان .. واقفة عاجزة أنت بلا جيش ولا حراس .. من  
يستطيع أن يعود اليك .. من يضع يده بأول قطعة صلب  
جديدة .. لقد ذهب .. « لقد كنت أقول لكم دائماً ان الأمة هي  
الباقية .. وان أي فرد مهما كان دوره ومهما بلغ أسهامه في  
قضايا وطنه هو أداة لإرادة شعبه وليس هو صانع هذه الإرادة  
الشعبية » .. اذن لماذا يصرخ هؤلاء الناس .. هل يكونون  
يصرخون على شيء آخر .. هل كان على خطأ على طول

حوله .. والسؤال معلق في رقبته ولا بد من الإجابة عليه .. اليس هو الذي كان متفائلا ويقول ويقول مبررا كل الأخطاء مبررا الصعوبات كلها بأنها مرحلية .. وتغلبت عليه الذكريات .. حين تعرف على مناضل قديم .. مناضل ظل طوال عمره يحلم بالثورة لكنه لم يحاول أن يصنعها يوما ولم يشترك يوما في مظاهرة .. لم يرفع يوما سلاحا .. لكنه كان يحب الوطن .. رأى هذا الرجل معه كتابا عن « ابن الرومي » وآخر عن « المسرح الفرنسي » فسأله :

— هل تحب الأدب ؟

— جدا ..

— لمن تحب أن تقرأ .. ؟

— رغم ما تراه معي فأنى أحب المعرى ..

— لأنه كثير التأمل في الحياة والموت ..

— أجل ..

— فقط ..

— ولانى أحب العزلة وكان هو منزلا وأحب البكاء وأشعر فيه بوجودي ..

وضحك الرجل وناقشه وأقنعه في النهاية أن جوار هذا الأدب نوعا آخر يضعك في قلب الحياة .. قال له لن أقول لك اقرأ رواية « الأم » « لكسيم جوركي » ولكن اقرأ له رواية « كونوفا لوف » واعرف نهاية الطريق الذى يسلكه الإنسان وحيدا — ثم قال — لماذا لا ندخل في التنظيمات السياسية ؟

الخط .. انه رمز .. وجوده الآن يعنى ان الثورة باقية وان المعركة لم تنته .. المعركة التى دارت أسرع من البرق وانتهت كطيف محرق .. لكن الناس .. الناس تجرى لشيء آخر يا محسن .. لا تفهمه ولن تفهمه .. أغلقت نفسك على ما لا يفهمه الناس .. ويلك يا محسن مما قلت أو فعلت .. ها انذا صبرت جثة .. جثتنا التى تداس في سبيلنا الآن .. نحن موتى ايضا .. نحن لم نفرط فيك .. نحن موتى ايضا .. لكن .. لكن .. وهبت نسمة باردة .. رطوبة حلوة .. طيبة .. هفت على وجهه .. انعشته قليلا .. كفكف الدمع ثم .. ثم بكى من جديد .. احس بصرخات آلاف الجرحى .. بدبابات الشر تطحن عظام اخوته .. كم الفاماتوا وكم ينسحبون الآن وكم تائهون ؟ .. وآه .. كيف كانت البداية .. وكيف كانت النهاية ؟ .. ورأى السفينة امام عينيه سؤال كبيرا .. من يستطيع أن يجيب .. من .. من ؟

« أقول لكم بصدق وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى في الأزمة فأننى على استعداد لتحمل المسؤولية كلها » .

لكن هناك أشياء خفية لا بد يعرفها .. وبدا يفكر في ظواهر كانت غائبة عنه حين بدأت القطع المتناثرة من حطام السفينة تأخذ أشكال أسئلة مظلمة وملحة .. وأصوات الموج الهسائية تشكل سؤالا كبيرا .. من المسئول ؟

ورأى الدنيا حوله كبيرة لكنها ليل .. الورشة ظلمته كبيرة لكنها تائهة في جوف الليل .. الساعة الآن تقترب من الثالثة صباحا .. هذا يوم جديد .. الفجر ما يزال بعيدا وقد لا يأتى أبدا .. قد يظل منكمشا في خوف الليل !! وأدرك أن مسئوليته كثرة .. مسئول عن هذا العالم الكبير الخيال

هناك تنظيم للشباب .. قديما كان الشباب يخرج بلا تنظيم فكانوا يفتحون عليه الكبارى .. لكن اليوم لن يفتح أحد على الشباب الكبارى ! .. بل سيفتحونها لهم لأن الشباب اليوم هو الثورة نفسها ..

وذاب محسن في العمل .. ساهم في معسكرات كثيرة بالرأى وفي مشروعات كثيرة بالعمل .. ثم اختفى هذا الرجل بعد أن أسلم محسن لآخر أسلمه لتنظيم سرى لم يستمر أكثر من شهر .. اختفى التنظيم حين اختفى بعض أعضائه .. وعرف محسن بعد ذلك أن من اختفوا اعتقلوا فلم يصدق .. وعرف أنهم اعتقلوا في مستشفى الأمراض العقلية فلم يصدق .. وقفزت موجة جسورة رغم هدوء الجو .. ارتفعت فوق الرصيف الذى يجلس فوقه وبللت ركبتيه .. وتقهقرت الذكريات لكن الأسئلة عادت تلح عليه .. ماذا يفعل الآن ؟ هل تراه سلك الطريق الصحيح .. استولى عليه حنين طاغ للأدب .. للعزلة .. آه .. هنرى باربوس .. هل أعود وأغلق حجرتى وأنظر من ثقب المفتاح .. لكن مشهد السفينة عاد يكبس فوق قلبه .. أنت تتحمل الوزر كله .. هكذا تقول السفينة .. تذكر الأصدقاء .. والأعداء .. تذكر خليل وكيف جذب .. لماذا لم يوجد من يأخذ بيده إلى الطريق الصحيح ؟ .. لكن أين الطريق الصحيح ؟ هل كان هو الذى يمكن أن يفعل ذلك ؟ .. وعلام .. أكان يجب أن يندفع بينهم ليكون ضدهم ؟ كيف يصل الأمر إلى أن يصبح صاحب المصلحة هو عدوها ؟ كيف يفسر هذا التجاذب العنيف بين الشباب بغير العشوائية والخبيل ؟ وشعر أن كل ما كان أكذوبة .. والحقيقة الوحيدة هى أن رياحا عاتية ستعصف بالجميع .. اثنى عشر عاما تحمل الوطن لتضعه لقمة سهلة على مائدة الأعداء .. ما أرخص الزمن .. وما أبشع المأزق الذى

هو فيه ومن مثله .. لم يعد يعرف ماذا سيفعل .. بل لم تعد لديه قوة ليفعل شيئا .. ولكن .. هل ينضب الوطن ؟

واختلطت عليه الأمور .. هاجمته قطع الحديد الشوواء من جديد .. أحس بأن الروافع العالية التى لم تصبها الانفجارات سوف ترفعه وتلقى به إلى البحر .. لكن السفينة ازدانت فجأة أمامه بالورود .. ومسح دمعة ثقيلة فقفزت السفينة من جديد إلى عينيه بصورتها البشعة .. ثم رأى نفسه يطير فوق شوارع مليئة بالمشورات .. ورأى أبواب سجون تفتح ومعتقلات ويدخلها الشعب كله .. وحاول أن يتكلم فلم يجد أحدا يسمع إليه .. جعل يحدث نفسه ويقول « لقد كنا دائما نحدث أنفسنا فلا بأس أن نستمر حتى ولو لم يسمعنا أحد » .. لكنه فى حاجة شديدة لمن يسمعه .. غطى وجهه بكفيه وأنشج بصوت عال .. أحس بدقنه طويلة جدا وخشنة .. تذكر أن له أبا وأما أهلهم كثيرا .. حينه لأبيه كبير ..

« يا ابنى دعك من السياسة .. ليس هنا أفضل من السير جوار الحائط .. »

« أفن لمن الشوارع يا أبى »

وأغلق الحديث .. اجتمع بينهما ضحكت أمه حين ارتج على أبيه فلم يعرف كيف يجيب .. لكن أباه كان يفهمه رغم الصمت .. محسن .. يدرك ذلك جيدا .. بل كاد يتكلم .. لكنه كعادته حين يجانبه الريح يتمثل الصمت .. ورأى محسن ميني أبيه تقولان « الشوارع كلها مسدودة والشارع الوحيد المفتوح فيها فنج كبير » وناجى أبا العلاء .. « أعود إليك بعد أن أحبت الهواء الطلق .. وقال الأعمى أنه لم يعتزل ولكنهم عزلوه .. فقال

له اذن دعنى ولو قليلا حتى افهم البصرة الخبيثة .. حتى لا يسقط منا الدسوقي مرة أخرى أيها الشيخ .. فقال الشيخ هل لديك قوة الفهم ؟ .. « وأحسن بالعجز وخرج له صايح من بين الماء سعيدا يقول « لقد أدركت خطاى القديم » هل يستطيع أن يفعل مثل صايغ .. لقد هرب منه الزمان ويسيطر الآن عليه شعور سقيم .. اكذوبة طويلة عاشها وحين اكتشفها هرب القطار أمام عينيه ، بل تحطم .. انه يحتاج لوقت طويل يتطهر فيه .. يتعد أولا عن كل شيء .. كمريض الحمى الذى صار هشا يشعر أن أقوى ما فيه قد انهار واصبح في حاجة لبناء جديد .. بناء يا سفينتى جديد .. وليس مهما أن اشترك فيك من جديد .. المهم أن اكون موجودا .. اراك مرة واحدة محلة بالورود واموت أو الحق بالأعمى المعزول ..

وسمع صوتا خافتا ياتيه من الخلف .. اضطرب .. تصور أن الله جاء يحاسبه .. لم يتحرك عن موضعه .. واختفى الصوت .. فالتفت ليدرا عن نفسه الجنون .. لكنه ميز شيئا من بعيد يقترب في ثقة .. بخطو فوق الحديد والصاج في ثقة رغم الظلام الكثيف .. انه .. انه .. غير معقول .. أراد أن ينهض لم يستطع .. أراد أن يتكلم لم يستطع .. أراد أن يبكي لم يستطع .. أراد أن يدرك ما اذا كان مشلولاً أم لا فلم يستطع .. اتسعت عيناه فقط واختنق صوته وتحركت أصابع كفه وتهدجت أنفاسه وصار يلهث .. واقترب تمام منه .. !

كيف لم يعرف صوته حين سمعه .. كيف ناه من عقله ولم يعد يذكره .. تمام حبة القلب وقلب الصديق ..

جلس تمام حوار صامت .. كان محسن يود لو يعاينه .. لو يقل كفه وعينه وجهته .. لكن تمام جلس صامتا

وجعل ينظر الى البحر .. كان البحر يمتد امامهما عريضا فسيحا اسود مهيبا .. كانت السفن المتناثرة فوق المياه كتلا سوداء مظلمة أشد سوادا من الليل .. رأى محسن هذه السفن البعيدة لأول مرة .. وأدرك أنها تقف فوق المياه وهذا يعنى أن في الدنيا حياة رغم الظلام .. ورغم أن كل شيء يبدو ميتا .. قال بصوت منسى :

— كيف عرفت ؟

— سألت عنك خفير المركز .. الوحيد الذى وجدته في الشركة ..

سمع صوته حزينا لكنه محدد وقاطع .. رآه شاحبا منهكا .. اختفت ابتسامته البسيطة التى لم يتصور وجهه دونها يوما لكن في عينيه عزم غاضب .. والتفت تمام ينظر الى محسن ليراه شاحبا غارت عيناه الى مستقر بعيد .. أحس تمام أن محسن يود أن ينظر الى الخلف .. أحس بخسارة شديدة .. قال فجأة على طريقته القديمة .. الهادئة الواثقة التى لا يعرفها الا محسن ..

— السفينة وانت .. هى محطمة وانت محطم .. لكنها موجودة وانت موجود .. أليس كذلك .. ؟

كانا دائما يختلفان في الراى .. وكان محسن يشعر دائما أنه محق وتمام على خطأ وهذه هى المرة الأولى التى يرى فيها تمام محقا وهو على خطأ .. لكنه قال في حيرة ..

— ضاع كل شيء يا تمام ..

وكان الفجر قد بدأت تتسرب بعض خيوطه مرسية بهتة تحاول أن تتشبث بالأفق الذى أثقله الليل .. أشار تمام الى الأفق وقال :



- هيا بنا .. اماننا عمل كثير ..  
- هيا بنا .. هياك خيوط حمراء بدأت تظهر .. الفجر في الطريق ..

لم يفهم محسن ماذا يقصد صديقه .. كاد يسأله عما فعله من أجل السلاح .. السلاح الذي استوى عنده أن يوجد الآن أو لا يوجد .. كاد يسأله عما حدث له .. لكنه أحس بعدم جدوى السؤال .. أراد أن يخبره بما حدث للزملاء .. لكنه وجد تمام صارما كأنه لا يريد أن يعرف شيئا .. أو كأنه يعرف كل شيء .. وفوجيء أن في يد تمام كتابا ..

- ما هذا .. ؟

سأل محسن بانكسار ..

وهنا ابتسم تمام .. تألقت الدنيا في عيني محسن .. ابتسم تمام فافتتر ثغره الشاحب عن أسنان متألقة وسط الظلام .. وقال تمام :

- هذا كتاب .. اشتريته صباح اليوم ..

ورأى محسن صديقه يقرأ وهو الذي لم يكن يفعل ذلك كثيرا .. ورآه يتعب .. ورآه يبكي .. وأحس بالشفقة عليه .. لكن تمام قطع خيالاته وهو يقول :

- هيا بنا ..

- لا استطع المير ..

- قم واستند على ..

- الدنيا ظلام ..

- الفجر لن يغيب طويلا .. ثم أن مشهدنا ونحن نحاول السير في الظلام سيكون رائعا .. - وصمت تمام لحظة ثم استطرد - وسيكون أروع حين يزعج الفجر ..

وقف تمام بعزم .. وأمسك بذراع محسن ينهضه .. استند محسن على الأرض بكفه اليسرى وترك اليمنى لتمام يرفعه منها .. وقف محسن منحنيًا كقوس ووقف تمام شامخا .. نظرا للسفينة ثم نظرا إلى نفسيهما .. قال تمام :

- سوف نبنيها أروع ..

وصمت تمام لحظة ثم قال :

- أنك لم تسألني عن السلاح ..

ولم ينتظر اجابة محسن وقال :

- معي مسدس قديم كان أبي يحتفظ به منذ كان يتظاهر ضد الدولة والاستعمار معا ..

والتقتا تاركين مكانهما ..

وخطوا الخطوة الأولى ..

محسن يضع ذراعه فوق كتف تمام يعتمد بها عليه .. والفجر خلفهما يقاوم ثقل الليل الباهظ .. وأخذا يسيران ..

كان محسن متهاككا .. ولكن تمام كان قويا .. أحاط صديقه من وسطه بذراعه اليمنى .. وباليسرى أمسك كتابه وفوق قلبه مسدس قديم يدفعه ..

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

## العالم متسع فسيح الأرجاء

- « رغم أن ذا الوجه المسالم تعس »  
« والطبيب يفض عنه النظر في كل مكان »  
« رغم أن السرقة تمارس »  
« والمصري يحارب أخاه »  
« رغم أن كل صاحب مدينة صار في مملكة »  
« وأريقّت أرواح المصريين »  
« رغم أنى لا أجد من أتحدث إليه اليوم »  
« إذ لا يوجد أخيار »  
« رغم أن المشورة الحقة ضاعت »  
« وصار كل واحد له عراف وجان »  
« رغم أنه قد ثقلت على التعاسة »  
« وأغلق على المصريين في يد حاكم قاسى »  
« رغم أن الشر يضرب في الأرض »  
« وقد جفت مياه البحر »  
■ وجف النهر »

## منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

« وصارت الصحراء دما »  
« وتلف الزرع »  
« ولم يعد الصياد يجد صيدا »  
« والكل ينوح ويكتئب »  
« ويسأل ماذا قضى رب الجنود على مصر »  
« وأى روح شريرة أوتعت فيها الضلال »  
« رغم أن الموت أمامي اليوم مثل شفاء مريض »  
« ومثل رائحة زهور الليلك »  
« ومثل الجلوس على شاطئ الخمر »  
« وكسحو السماء »  
« وكما يشتاق رجل لرؤية بيته »  
« ورغم أنى أعرف أن الكل باطل وقبض ربح »  
« وأنه لا فائدة للإنسان من كل تعب »  
« وأن كل الأنهار تجري إلى البحر والبحر ليس يملأ »  
« رغم أنى أغبط الموتى والذين لم يولدوا »  
« فساظل أصرخ في البرية »  
« في جوف الأرض »  
« في عرض السماء »  
« وأن ظل مهزوما جسدى »  
« مكدودا عقلى »  
« حتى أن بقيت بعيدا »  
« فالعالم متسع فسيح الأرجاء »

« ومازالت النهاية بعيدة »  
« الأرض تسير في دودتها لم تنحرف »  
« والليل لا يظف النهار »  
« وتلك الفيوم التى تحجب السماء »  
« وتلك النجوم التى تهوى كالطر »  
« لا تنم عن موت الإله »  
« إنما هى الروح تشرق من جديد »  
« فأمواء الحياة التى توجد فى السماء ستأتى »  
« وأمواء الحياة التى توجد فى الأرض ستأتى »  
« فهيا أوزوريس »  
« أن الفيضان قادم »  
« وسأضرب لك كل من فعل أى شيء ضدك »  
« وسيمكنك أن تعيش وترفع نفسك »  
« قل أن الإله سيستحوذ على ذاته »  
« قل أن فى الموت ميلاد »  
« ومن نزع سيعود »  
« وستغلق أبواب الجبروت »  
« قل لها ستلبسين ثوب هزك »  
« وسيرتعب من يذكرك »  
« فاستيقظى استيقظى .. »  
« الأرض مازالت كريمة »

(( تمام )) بعد عام

« كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يا كنعان يكون لكم »  
« لقد تركهم الرب »  
« واختارك »  
« حلت عليهم بك لعنته »

\*\*\*

« سيكون في ذلك اليوم أن يجمع الرب والاصرار »  
« جميع المشتتين من أبناء كنعان »  
« من أطراف الأرض الأربعة »  
« وتنقض على اكتاف يهوذا »  
« سفردم واشكيناز »  
« وينقسم نهر الأردن جسورا سبعة »  
« يعبر فوقها الثوار »  
« تزداد المعابر للآلاف فوق الأجساد »  
« يمر الشعب كما كان يمر يوم خروجه »

\*\*\*

« كنعان »  
« اجروا على رسومي »  
« احفظوا وصاياي »  
« نبوءاتي فوق رصاص »  
« تفيمون آمنين فوق رصاص »  
« سلام اورشليم فوق رصاص »

\*\*\*

## نبوءات آخر الزمان

« أمواج الموت اكتنفتني »  
« سيول الهلاك أفرغتني »  
« جبال الهاوية أحاطت بي »  
« شرك الموت اختطفني »  
« في ضيقى دعوت الرب »  
« وإلى الهى صرخت »  
« فسمع من قبله صوتى »  
« وارتجت الأرض »  
« وأعمدة السماء ارتعدت »

\*\*\*

« كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يا كنعان يكون لكم »  
« لقد تركهم الرب »

\*\*\*

« لقد بسط يهوذا يده على اورشليم »  
« وندم الرب على الشر »  
« ويقول الآن لشعبى لا تم »  
\*\*\*

« والشعب سيف عظمتك »

« تخضع لك أعداؤك »

« وأنت تطأ مشارفهم »

\*\*\*

« ها هو كنعان يسبل كل الأعداء »

« يفتح المدائن »

« تسقط بين يديه القنائم »

« يفتح صدره للأعداء »

« يؤمنهم .. »

« لا جدوى للعنف »

« فقد عاد »

### صايغ بعد الرحيل

\*\*\*

« انتهت »

« ١٩٧٣ - ١٩٧٤ »

« ستزيلون الوحوش الضارية »

« لن يمر في أرضكم سيف »

« ستطلبون أعداءكم يسقطون أمامكم »

« سيترد الخمسة منكم المائة والألف »

« سيكثركم الرب جدا جدا »

« سيجعل مسكنه فيما بين رصاصكم »

« اسمعوا وصاياي وارفعوا السلاح معي »

\*\*\*

« لا يياس أحد منكم على ما فات »

« ليكون نبيا يترنم بالاهازيج »

« عريانا خرجت من بطن أمي »

« وعريانا أعود الى هناك »

« فلنقبل الشر ونعرف كيف نأتي بالخير »

\*\*\*

« مبارك أنت أيها الشعب المكدود »

« ستأخذ بقفا أعدائك تسحقهم كغبار الأرض »

« ستحول بكاءك الى رقص »

« ستترنم روحك ولا تسكت »

« ستمدعو ممالك الأرض أن تغني »

« للشعب الراكب فوق الموت »

« طوبى لك يا فلسطين »

« من مثلك شعب منصور »

« الرب ترسي عونك »

## للمؤلف

### الروايات :

- ١ - ليلة العشق والدم - مطبوعات القاهرة - ١٩٨٢ .
- ٢ - المسافات - دار المستقبل العربي - ١٩٨٣ .
- ٣ - الصياد واليغام - دار المستقبل العربي - ١٩٨٥ .  
طبعة أولى .  
وزارة الثقافة - بغداد ١٩٨٧  
طبعة ثانية .

- ٤ - بيت الياسمين - دار الفكر - ١٩٨٦ .
- ٥ - مذكرات عبد امريكي - ترجمة - مؤسسة الأبحاث  
بيروت .

### القصص القصيرة :

- ١ - مشاهد صغيرة حول سور كبير - وزارة الثقافة -  
سوريا ١٩٨٢ .
- ٢ - الشجرة والعصافير - مختارات فصول - ١٩٨٦ .

### تحت الطبع :

- البلدة الأخرى - رواية .

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

الهيئة المصرية العامة للكتاب



## منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

## منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

● ● بين يديك الآن نسخة الفريدة من هذه الرواية التي صدرت للمرة الأولى عام ١٩٧٩. لقد تفتت هذه الرواية عام ١٩٦٤ بعد حرب الكويت الفجيرة المدمرة. وهما تان الخائب يظنر هذه الحداث الرائعة فمقدم هذه الرواية التي هي بمثابة لافكرة للمصممين. إنها رواية شهيرة ذات احداث ابناء هذه الجيل الذي راني انهم التعميل يتصرف من بين حمة في افولاد اندى راج بكنافو الخطوة الاولى معج المسطفييل. وهي ايضا رواية تتوخ إلى التسجيل في شهيرة فمقدمة تلكات. جاستمير على وسمالجه بيلاصحف والتمكرات السريعة وكتاب التريسة و القدرت وقضايا العراقة. المولاج - يتناك حنة بانه سريته الايداع عداقر الحداث فمسة. إنها رواية الإدم السجة التي ظلمت بها ذرات بشفاعة بمصمما كائن وثيقة الصلة مما تشبه وما بعدها.